المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية التربية

قسم التربية الإسلامية والمقارنة

المضامين التربوية المستنبطة من حجة الوداع

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية تخصص "التربية الإسلامية"

إعداد الطالب

راضي بن حمدان العنـزي

إشراف الدكتور /

محمد عبد الرؤوف عطية السيد

الأستاذ المساعد بالقسم

الفصل الدراسي الثاني

للعام الدراسي ١٤٣٢-١٤٣٣هـ

ملخص الدراسة باللغة العربية

عنوان الدراسة: المضامين التربوية المستنبطة من حجة الوداع.

اسم الطالب: راضي بن حمدان بن غريب العتزي.

هدف الدراسة: الكشف عن المبادئ والقيم والأساليب التربوية التي تضمنتها حجة الوداع.

منهج الدراسة: الطريقة الاستنباطية التي هي أحد أساليب المنهج الوصفي.

فصول الدراسة: اشتملت الدراسة على خمسة فصول، وهي كالتالي:

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة.

الفصل الثاني: المبادئ التربوية المستنبطة من حجة الوداع.

الفصل الثالث: القيم التربوية المستنبطة من حجة الوداع.

الفصل الرابع: الأساليب التربوية المستنبطة من حجة الوداع.

الفصل الخامس: الاستخلاصات العامة للدراسة.

أهم نتائج الدراسة:

١. اشتملت حجة الوداع على العديد من المبادئ والقيم والأساليب التربوية التي تهتم بجميع مظاهر الإسلام الدنيوية والأخروية.

٢. أكدت حجة الوداع على كرامة الإنسان وحريته، وأنها حق مكفول لكل إنسان بغض النظر عن نسبه وحسبه وجاهه وطبقته وعرقه ولونه وماله.

٣. تطبيق المضامين التربوية المستنبطة من حجة الوداع في الواقع المعاصر، بصفة عامة، وفي موسم الحج، بصفة خاصة، من قِبل الهيئات المسئولة عنه، يعود على الأمة الإسلامية بكل خير ونفع في شتى مناحي الحياة.

توصيات الدراسة ومقترحاتها:

١- إنشاء مراكز بحثية تعمل على دراسة سيرة الرسول ﷺ ، وتخصيص دراسات تربوية تعمل على تطبيقها في الواقع المعاصر.

٢- الاستفادة من المضامين التربوية المستنبطة من حجة الوداع في معالجة الأخطاء والمخالفات التي تقع من بعض الحجيج والمعتمرين.

٣- إجراء دراسات أخرى عن:

- العلاقات الأسرية والاجتماعية في حجة الوداع.
- المضامين التربوية المستنبطة من وصايا الرسول ﷺ في حجة الوداع.
- مدى تطبيق المؤسسات التربوية للمضامين المستنبطة من حجة الوداع.

Summary

Research title: Educational contents deduced from the Farewell Pilgrimage.
Researcher: Radhi bin Hamdan bin Gharib Al-Enazi.

The objective of the study: The study aimed at identifying educational principles, values, and tequniques deduced from the Farewell Pilgrimage.
Method of the study: It used the descriptive deductive method.

Chapters of the study: The study consisted of five chapters:
Chapter I: General framework of the study.
Chapter II: Educational principles deduced from the Farewell Pilgrimage.
Chapter III: Educational values deduced from the Farewell Pilgrimage.
Chapter IV: Educational tequniques deduced from the Farewell Pilgrimage.
Chapter V: General conclusions of the study.

The most important results of the study were:
1- The Farewell Pilgrimage contained many of educational principles, values, and tequniques concerning all Islamic features of here life and hereafter.
2- The Farewell Pilgrimage asserted the dignity and freedom of man regardless of his or her relatives, social and economical status, race, or colour.
3- Applying concerned authorities for educational contents deduced from the Farewell Pilgrimage in contemporary reality, generally, and in Pilgrimage season, in private, leads to success in all fields of life.

The most important recommendations and proposals of the study were:
1- Establishing research centers working on the study of biography of the Prophet (PBUH) and specializing educational studies to make it applied in contemporary reality.
2- Benefitting from educational contents deduced from the Farewell Pilgrimage in dealing with errors of some pilgrims.
3- Making further studies about:
- Family and social relationships in the Farewell Pilgrimage.
- Educational contents deduced from the Prophet's wills (PBUH) in the Farewell Pilgrimage.
- The extent of applying educational institutions for educational contents deduced from the Farewell Pilgrimage.

شكر وتقدير

الحمد لله المتفضل والمنعم القائل في كتابه العزيز: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (سورة إبراهيم، آية ٧)، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة رسولنا محمدٍ ﷺ القائل: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" (الترمذي،١٣٩٥هـ، ج٤، رقم الحديث رقم ١٩٥٤، ص٣٣٩).

بعد أن يسر الله هذا السِّفْرَ العلمي، الذي تعلم منه الباحث الشيء الكثير في باب حجة وداع النبي ﷺ ، فإنه يتوجه بخالص الشكر الجزيل للمنعم المتفضل على جميع الخلق سبحانه وتعالى.

ثم يثني بالشكر لوالديه الحبيبين– أطال الله عمرهما في طاعته – فلقد تحملوا الكثير، في سبيل تعليم أبنائهم والحرص على ذلك، وتشجيعهما الدائم، والدعاء لهم، ولعل دعاءهما سبب عظيم من أسباب التوفيق والنجاح في حياة أبنائهم ، ومهما كان من البذل لهما فالوفاء بحقهما شحيح، وما أقول إلاّ﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (سورة الإسراء،آية٢٤).

ولا يفوت الباحث أن يتقدم بالشكر لجامعة أم القرى، وأخص قسم التربية الإسلامية بكلية التربية، على إتاحة الفرصة لإكمال مسيرته التعليمية في هذا المجال .

ثم أتوجه بالشكر لمعالي الأستاذ الدكتور محمد بن علي العقلا، مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فله وقفت لا تنسى في دراسة الباحث ، فجزاه الله خيراً.

ولا أنسى من مد يده في البذل والعطاء، دون كلل أو ملل، متابعة وتصويباً وإرشاداً من أجل الوصول بهذا العمل إلى صورته النهائية ، فلأستاذي الفاضل الدكتور/ محمد بن عبد الرؤوف بن عطية السيد، بالغ الشكر والتقدير على إشرافه وبذل جهده ووقته.

ولا أنسى أن أتوج بالشكر أخي الفاضل/ محمد حسن زكري، الذي له ساهم في البحث منذ لبناته الأولى، وحسب الباحث الدعاء له بالتوفيق والسداد.

كما أشكر الأخ الفاضل/ أحمد بن حسن الجعفري، لما بذله حتى خرج هذا العمل المبارك، في وقت وجيز.

وأخص بالشكر من قبل بذل وقته وجهده من أجل تقديم ملاحظاته ، وتصويباته، وإبداء رأيه، و قبول مناقشته لهذه الرسالة، رغم تزاحم الأعمال وضيق الوقت فلكل من:

سعادة الدكتور/ خليل بن عبد الله الحدري، وسعادة الدكتور/ حازم بن علي بدارنه، بالغ الشكر وجميل العرفان.

وشكراً لأعضاء هيئة التدريس في كلية التربية الذين تتلمذ وتعلم منهم الباحث في مراحله التعليمية المختلفة وأخص منهم أعضاء هيئة التدريس بقسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى، فكتب الله تعالى لهم أجر ما يعلمون للطلاب.

كما أتقدم بالشكر مع الدعاء بالتوفيق لكل من أسهم في دفع هذه الدراسة للوصول بها إلى النور، أو أعان بالكلمة السديدة، والمشورة الناصحة لسد خللها وتقويم اعوجاجها.

كما يقف مِدَادُ الباحث حائراً عن تسطير الشكر والتقدير لزوجته/ أم أحمد، التي لم تتوان في تقديم التضحيات وبذل الصبر في تربية الأبناء رغم بعد الزوج في دراسته وعمله، حيث الإقامة في عرعر والعمل والدراسة في مكة المكرمة ثم المدينة المنورة، فاللهم احفظها وأدمها سنداً وعزاً، واجزها عن الباحث خير الجزاء.

وباقة وردة معطرة تعبق بالرائحة الزكية أتوج بها صغاري وفلذات كبدي؛ لما عانوه في مسيرتي العملية، من بعدي عنهم، وانشغالي إذا أتيتهم، وتضحيتهم بجلّ

وقتهم من أجل إخراج هذه الرسالة لتكون في مصاف الرسائل الجامعية النافعة، فأسأل الله أن ينبتهم نباتاً حسناً، وأن يقر عيني والديهم بهم.

وآخِرُ شُكرِ الباحث لكل إخوانه وأخواته وزملائه وأصدقائه وطلابه، ولكل من قدم له نصحاً وإرشاداً وتوجيهاً وتشجيعاً وإعانة، فلهم جميعاً من الباحث الشكر والدعاء.

وأرجوا الله أن يتقبل هذا العمل وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتب له القبول، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان. وصلى اللهم على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المحتويات	الصفحة
البسملة	ب
ملخص الدراسة باللغة العربية.	ت
ملخص الدراسة باللغة الانجليزية.	ث
شكر وتقدير	ج
قائمة المحتويات	د
الفصل الأول: الإطار العام للدراسة:	١-١٣
- مقدمة:	٢
- تساؤلات الدراسة:	٥
- أهداف الدراسة:	٥
- أهمية الدراسة:	٦
- منهج الدراسة:	٦
- مصطلحات الدراسة:	٧
- الدراسات السابقة:	١٠
الفصل الثاني: المبادئ التربوية المستنبطة من حجة الوداع	١٤-٦٣
- أولاً: تربية المسلم على تحقيق التوحيد لله وحده:	١٥
- ثانياً: التربية على تعظيم شعائر الله:	٢١
- ثالثاً: التربية على إظهار البراءة من المشركين ومخالفتهم:	٣٢
- رابعاً: التربية على احترام حقوق الآخرين:	٤٠

- خامساً: التربية على توحيد الأمة وائتلافها، وتحذيرها من الفتن والافتراق:	٤٦
- سادساً: التربية على الاتباع وتوحيد مصدر التلقي:	٥٤
الفصل الثالث: القيم التربوية المستنبطة من حجة الوداع	٦٢-٩٠
- أولاً: التربية على الوسطية:	٦٥
- ثانياً: التربية على الزهد:	٧٠
- ثالثاً: التربية على التواضع:	٧٤
- رابعاً: التربية على الرحمة:	٧٨
- خامساً: التربية على الإحسان:	٨٧
الفصل الرابع: الأساليب التربوية المستنبطة من حجة الوداع	٩١-١٣٧
- أولاً: القدوة:	٩٢
- ثانياً: التعليم:	٩٩
- ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:	١١٤
- رابعاً: الموعظة الحسنة:	١٢٣
- خامساً: الدعاء:	١٣١
الفصل الخامس: الاستخلاصات العامة للدراسة	١٣٨-١٤٥
- أولاً: التطبيقات التربوية للمضامين المستنبطة من حجة الوداع:	١٤٠
- ثانياً: نتائج الدراسة:	١٤٣
- ثالثاً: توصيات الدراسة ومقترحاتها:	١٤٤
قائمة المصادر والمراجع	١٤٦

الفصل الأول:

الإطار العام للدراسة

- مقدمة:
- تساؤلات الدراسة:
- أهداف الدراسة:
- أهمية الدراسة:
- منهج الدراسة:
- مصطلحات الدراسة:
- الدراسات السابقة:

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله - على حين فترة من الرسل - ليكون للعالمين نذيراً، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ ﴾(سورة الأحزاب، الآيات ٤٥-٤٧)، ثم كان البلاغ للناس قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة المدثر،الآيات ١-٥).

فأقام النبي ﷺ على أمر الدعوة، ثلاث سنين يدعو إلى الله مستخفياً، "ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث الناس به، ثم إن الله عز وجل أمر رسوله ﷺأن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه، ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (سورة الحجر، آية ٩٤) وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (سورة الشعراءالآيتان ٢١٤،٢١٥" (ابن هشام، ١٣٢٧هـ، ج١، ص١٧١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ (سورة الشعراء، آية ٢١٤) ، صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال الرسول ﷺ: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا. قال:

فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم! ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ (سورة المسد، الآيتان ١،٢) (البخاري، ١٤٢٢هـ، رقم الحديث ٤٤٩٢، ص ٤٣٤).

" واستمر رسول الله ﷺ يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصده عن ذلك صاد، يتبع الناس في أنديتهم ومجاميعهم، ومحافلهم، وفي المواسم، ومواقف الحج، يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي وغني وفقير؛ جميع الخلق في ذلك عند شرعه سواء". (ابن كثير،١٤٠٥هـ، ج٢، ص٦٩).

و بمبعثه ﷺ اكتمل دين الله وقامت الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ ﴾ (سورة المائدة، آية ٣) ، هذه الآية الكريمة "نزلت وهو واقف بعرفة"(البغوي، ١٤١٧هـ، ج ٢، ص ٣١٧)؛ أي أنها نزلت في حجة الوداع هذه الحجة العظيمة التي حوت في أسفارها أخباراً، وفي طياتها حكماً وعبراً، ففي السنة العاشرة للهجرة التي حج فيها رسول الله ﷺمع أصحابه وفي جمع غفير من المسلمين، وخطب فيهم الخطبة العصماء التي أكدت كثيراً من المبادئ والأحكام العقدية والتعبدية، والقيم الأخلاقية، والدعوية، والاجتماعية، والسياسية، وكذلك أساليب متعددة ومتنوعة تفيد الفرد والمجتمع في جميع شؤون الحياة.

وبذلك شملت حجة الوداع الكثير من المبادئ والقيم والأساليب التي يمكن الاستفادة منها في مجال التربية، وذلك لما تضمنته تلك الحجة من مواقف وأحداث، ومن خطبٍ عصماء جمعت الكثير من المضامين الإسلامية التي يمكن الاستفادة منها عملياً في الواقع المعاصر.

ومما تضمنته مشاهد حجة الوداع من مضامين تربوية: التربية على تحقيق التوحيد، فعن جابر – رضي الله عنه– قال: أهل رسول الله ﷺ بالتوحيد "أهل بالتوحيد لبيك اللهم، لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص ٨٨٧)، وعن هذا قال شرف الدين محمد المرداوي الحنبلي:

تحن القلوب المستجاب لها الدعا إلى الصادق البر الخليل الممجد

"فحج البيت إجابة لدعوة الخليل – عليه الصلاة والسلام بأمر الله عز وجل: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (سورة الحج، آية ٢٧) فمن حج البيت أو اعتمر فإنه مجيب لنداء الخليل – عليه الصلاة والسلام– إلى أن تقوم الساعة، لبيك اللهم لبيك، إجابة لدعوتك على لسان خليلك إبراهيم – عليه الصلاة والسلام" (الفوزان، ١٤٢٦هـ، ص ص ٦٤٣-٦٤٤).

كما تضمت حجة الوداع أيضاً: الأخوة بين المسلمين فقال: "أيها الناس اسمعوا قولي فإني قد بلغت واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخو المسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس فلا تظلموا أنفسكم"(الطبري،١٤٠٧، ج٢، ص ٢٠٦).

ومن أبرز المضامين كذلك: القدوة وتبدو هذه القيمة جليةً في حجته ﷺ عندما قال: "خذوا عنى مناسككم لعلى لا أراكم بعد عامي هذا" (البيهقي، ١٤٢٤هـ، ج٥، رقم الحديث ٩٧٩٦، ص١٢٥)، فكلامه وسكونه وحركاته وفعله وإقراره في الحج ينبغى الاقتداء به، فهذه سنة الرسول ﷺ.

وفي ضوء ما سبق، تبرز من حجة الوداع الكثير من المضامين التربوية التي ذكر الباحث بعضاً منها، وغيرها كثير مما يبين أهمية استقراء سيرة الرسول ﷺ واستنباط المبادئ والقيم والأساليب التي تفيد المسلمين في كافة شؤون حياتهم.

ومن ثم تحاول هذه الدراسة الكشف عن المضامين التربوية المستنبطة من حجة الوداع.

تساؤلات الدراسة :

يمكن صياغة تساؤلات الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما المضامين التربوية المستنبطة من حجة الوداع ؟

ويتفرع عن هذا السؤال، الأسئلة الفرعية التالية:

١- ما المبادئ التربوية المستنبطة من حجة الوداع؟

٢- ما القيم التربوية المستنبطة من حجة الوداع؟

٣- ما الأساليب التربوية المستنبطة من حجة الوداع؟

٤- ما الآثار التربوية لتلك المضامين التربوية المستنبطة من حجة الوداع؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إجمالاً إلى بيان أهم المضامين التربوية المستنبطة من حجة الوداع. ويمكن تحديد أهداف الدراسة تفصيلاً في الكشف عن:

١- أهم المبادئ التربوية المستنبطة من حجة الوداع.

٢- أهم القيم التربوية المستنبطة من حجة الوداع.

٣- أهم الأساليب التربوية المستنبطة من حجة الوداع.

٤- إبراز الآثار التربوية لتلك المضامين المستنبطة من حجة الوداع.

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية الدراسة في النقاط التالية:

١- أنها تمثل جانباً من حياة النبي ﷺ وهو المثل الأعلى لأمته في سائر شؤون حياتها.

٢- إبراز ما تضمنته حجة النبي ﷺ من مضامين تربوية هامة.

٣- أن نتائج هذا البحث تفيد المؤسسات التربوية وغيرها من مختلف المؤسسات في كيفية تربية أفرادها على ما كان عليه ﷺ.

٣- ندرة الدراسات التربوية المتعلقة بموضوع حجة الوداع.

منهج الدراسة:

تستخدم هذه الدراسة الطريقة الاستنباطية التي تعد أحد أساليب المنهج الوصفي وهو "الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ مدعمة بالأدلة الواضحة"(عبد القادر ،١٤٢٨هـ، ص٥٩).

وعلى هذا قام الباحث بجمع الأحاديث الصحيحة المتعلقة بحجة الوداع الواردة في الصحيحين (البخاري ومسلم) وما كان في كتب السنة الأخرى، فإن الباحث أثبت ما صححه الألباني وهو الغالب، أو ما حكم عليه أصحاب السنن بصحة سنده، ثم تحليلها لاستنباط الدروس والمضامين التربوية منها، ثم تصنيف تلك المضامين لمبادئ وقيم وأساليب تربوية ينبغي الاستفادة منها في الواقع المعاصر.

مصطلحات الدراسة:

١ - المضامين:

"المضامين : لغة: جمع مضمون ، يقال: "ضمن الشئ بمعنى تضمنه ، ومنه قولهم: مضمون الكتاب كذا وكذا" (ابن الأثير، ١٤٠٣هـ ، ج١، ص ٥٦٩) وقال مالك: "والمضامين: ما في بطون إناث الإبل" (البيهقي، ١٤١٠هـ، ج٢، ص ٢٧١)، وفي الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: "أن النبي ﷺ نهى عن بيع المضامين والملاقيح وحبل الحبلة" (ابن حنبل،١٤٢١هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٦٤٥،ص ٣٩٤)، "والمضامين ما في أصلاب الفحول" (الأزهري، ١٣٩٩هـ، ص، ٢١٢).

وفي الصطلاح: " المحتوى التربوي للمعنى المراد الحديث عنه" العمري، ١٤٢٣هـ، ص٩).

التربوية: صفة للتربية، والتربية هي: "تنشئة وتكوين إنسان متكامل من جميع نوحيه المختلفة من الناحية الصحية والعقلية والاعتيادية والروحية والأخلاقية والإدارية والإبداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها" (يالجن، ١٤٠٦هـ، ص٢٦).

وبناءً على ما سبق، يمكن صياغة تعريف إجرائي لمفهوم المضامين التربوية لهذه الدراسة بأنها: "المبادئ والقيم والأساليب التربوية التي اشتملت عليها حجة الوداع، من خلال الأحاديث الصحيحة الواردة في كتب السنة".

أ- المبادئ:

المبادئ لغة: جمع مبدأ، من بدأ، "وبدأتُ الشئ بَدْءاً: ابتدأت به، وبدأت الشئ: فعلته ابتداءً"، والمبدأ أساس الشي وأصله ومصدره" (الجوهري، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ٣٥).

ومبدأ الشيء أوله ومادته التي يتكون منها كالنواة مبدأ النخل أو يتركب منها كالحروف مبدأ الكلام، ومبادئ العلم أو الفن أو الخلق أو الدستور أو القانون قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها" (النجار، د.ت، ج١، ص ٤٢).

والمبادئ اصطلاحاً: "مجموعة من الأسس والأحكام تتصل بواقع الإنسان وتقرر له حقوق تحفظ بها كرامته وتحترم إنسانيته وتميزه عمن سواه، ويكتسب بها الإنسان حقاً مشروعاً اجتماعياً وإنسانياً من خلال انتمائه لذلك المجتمع أو تلك البيئة التي تقرر هذه الأسس والأحكام" (محمد، ١٤١١هـ، ص٥٨).

ويُقصد بالمبادئ في هذه الدراسة: مجموعة من القواعد والأسس المستنبطة من حجة الوداع.

ب- القيم:

القيم لغة: تستخدم كلمة قيمة بمعنى الأشياء التي يعطيها الناس اهتماماً خاصاً، وفي اللغة لها دلالات منها: "ديناً قيماً مستقيماً، وقوام كل شي : ماستقام به. والقيمة ثمن الشيء بالتقويم" (الأزهري، ١٣٩٩هـ، ص ٢٨٢).

واصطلاحاً: " عبارة عن مجموعة من الضوابط الفردية والجماعية التي يتحدد على اساسها السلوك في مجتمع ما، فالبنسبة للفرد تمثل القيمة – التي ربى عليها الفرد – موجهات داخلية ومعايير ذاتية يحكم على أساسها ويميز بين الخير والشر، والحق والباطل، والقبيح والجميل، والفضيلة والرذيلة، والصواب والخطأ، فالقيمة هي الشي الذي يصدر عن الإنسان في شكل حكم ينتج عنه سلوك" (شومان، ١٤٢٦هـ،ص٧)

كما عرفت القيم بأنها: "مجموعة المعايير أو المستويات الأخلاقية المرغوب توفرها في سلوك الأفراد في المجتمع" (طعيمة، ٢٠٠١م، ص ١٨٠).

ويقصد بالقيم التربوية في هذه الدراسة: "هي مجموعة الأنماط السلوكية الواردة في حجة الوداع والتي تتفق مع تعاليم الإسلام، ويسعى المربي والمعلم إلى غرسها في أفراد المجتمع"

ج- الأساليب:

الأسلوب لغة: هو " الطريق، والوجه، والمذهب" (ابن منظور،١٤١٤هـ، ج٦، ص ٣١٩)، ويقال "للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب بالضم: الفن يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه" (الزبيدي، د.ت، ج١، ص ٣٠٢).

وعُرف الأسلوب في مجال الدعوة اصطلاحاً بأنه: " طريقة عرض الفكرة أو الطريقة العملية التي يسلكها الداعية في توصيل الفكرة للمدعوين، كأن يستعمل طريقة القسم أو التلميح أو الإيجاز...الخ" (بني عامر، د.ت، ص ١٢٣).

كما عُرفت الأساليب التربوية بأنها: "الطرق التربوية التي يستخدمه المربي لتنشئة المربين التنشئة الصالحة" (الحازمي، ١٤٢٦هـ، ص٣٧٧).

وكذلك عُرفت بأنها: " وسيلة عملية هدفها السلوك أو السلوكيات التي يتميز بها الشخص الأكثر فاعلية من غيره في مجال مهني معين من خلال ما يراه الآخرون ويحكمون عليه" (عبيدات،١٤٢٤هـ، ص ١٨١).

والمقصود بالأساليب التربوية في هذه الدراسة هي: "مجموعة الطرق التربوية الواردة في حجة الوداع والتي يمكن الاستفادة منها في تربية النشء التربية الصالحة".

٢- الاستنباط:

الاستنباط لغة: "الاستخراج، فالفقيه يستخرج الفقه معتمداً في ذلك على الفهم والاجتهاد" (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج ٨، ص ٤٣٣)

وعُرف الاستنباط اصطلاحاً بأنه: "استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة" (الجرجاني، ١٤٠٥هـ، ص ٣٨).

ويرى الباحث أن الاستنباط من طرق البحث لاستنتاج أفكار ومضامين من الآيات القرآنية والنصوص النبوية والآثار والأحداث وفق قواعد وضوابط محدده.

ويراد بالاستنباط في هذه الدراسة: " استخراج المبادئ والقيم والأساليب التربوية المتعلقة بالجوانب العقدية والاجتماعية والأخلاقية من النصوص النبوية الواردة في حجة الوداع بعد النظر والتأمل وإعمال الفكر في تلك النصوص وشروحاتها وأقوال أهل العلم فيها.

الدراسات السابقة:

باستقراء أدبيات البحث المرتبطة بموضوع الدراسة، وجد الباحث بعض الدراسات المتعلقة بحجة الوداع، وهي:

الدراسة الأولى: دراسة بانبيلة (١٤٠٨هـ) بعنوان: بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى ﷺ.

هدفت هذه الدراسة إلى استنباط بعض القيم والأساليب التربوية من خطب الرسول ﷺ . وقد استخدم فيها الباحث المنهج التاريخي والمنهج الاستنباطي.

وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، من أبرزها:

- للقيم التربوية دور في بناء الشخصية المسلمة البعيدة عن الانحرافات.
- ثبات القيم الإسلامية، فهي ترتبط بمرتكزات المفهوم الإسلامي للشريعة فردياً واجتماعياً.

وقد أوصت الدراسة بجملة من التوصيات، من أبرزها:

- التأكيد على إبراز أهمية دور العقيدة الإسلامية الإيمانية في البرامج التعليمية.
- ضرورة تحديد مسئولية المربين بصفتهم القدوة والأسوة في المجتمع.

– أن القيم الإسلامية تصحح من المسار الحضاري للفرد والمجتمع وفق رؤية ايمانية متكاملة.

وقد اختلفت هذه الدراسة في موضوعها الذي شمل بعض خطب الرسول ﷺ والتي كان من بينها خطبة حجة الوداع، وفي هدفها الذي ركز على استنباط بعض القيم والأساليب التربوية من هذه الخطب، أما الدراسة الحالية التي موضوعها حجة الوداع، فقد ركز هدفها على استنباط المبادئ والقيم والأساليب التربوية من أحاديث حجة الوداع بما في ذلك: خطبة منى، و خطبة يوم عرفة، وخطبة يوم النحر.

الدراسة الثانية: دراسة الخاطر (١٤٢٥هـ) بعنوان : فقه الدعوة في حجة الوداع.

وهدفت هذه الدراسة إلى إظهار فقه الدعوة في حجة الوداع. وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج التاريخي بالإضافة إلى المنهج الاستدلالي الاستنباطي.

وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج، من أبرزها:

– أن السيرة النبوية هي النبع الصافي والمنهل العذب للدعوة إلى الله تعالى.

– حرص الرسول ﷺ على إقامة التوحيد وتصحيح العقيدة وإظهار المخالفة للمشركين في الحج.

– عناية النبي ﷺ في حجة الوداع بالجانب الأخلاقي والحث على التمسك بالأخلاق الفاضلة والبعد عن مساويء الأخلاق وقبيحها.

– أهمية العناية بموسم الحج وكونه من أعظم المواسم لنشر الدعوة إلى الله تعالى.

وقد أوردت الدراسة بعض التوصيات، من أبرزها:

– الاهتمام بموسم الحج في الدعوة إلى الله تعالى.

– إعداد الدراسات الدعوية المتخصصة في القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة العطرة.

وإذا كان جل تركيز هذه الدراسة على الجانب الدعوي في حجة الوداع فقط، فالدراسة الحالية تهتم باستنباط القيم والمبادئ والأساليب التربوية بالحجة.

الدراسة الثالثة: دراسة الدايل (١٤٣٠هـ) بعنوان: خطبة حجة الوداع: دراسة مقارنة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

واستهدفت هذه الدراسة تحليل خطبة حجة الوداع وإبراز ما فيها من المعاني والموضوعات، ودراسة حقوق الإنسان المقررة فيها، ثم مقارنة هذه الحقوق بوثيقة حقوق الإنسان الدولية الصادرة من هيئة الأمم المتحدة. وقد استخدم الباحث في ذلك المنهج الوصفي الاستنباطي.

وتوصل الدراسة إلى العديد من النتائج، ومنها:

- اشتملت حجة الوداع على موضوعات عديدة، ومنها: الحفاظ على الدماء، والأموال، والأعراض، وهدم أمور الجاهلية.
- حرمة الاعتداء على دم الإنسان وماله وعرضه.
- تميز خطبة حجة الوداع عن وثيقة حقوق الإنسان من حيث المصدر والأسبقية ومن حيث المحتوى والشمول.

وقد قدمت الدراسة عدة توصيات، أهمها:

- ينبغي الاستفادة من خطبة حجة الوداع.
- إبراز دعوة الإسلام إلى حقوق الإنسان من خلال وثيقة حجة الوداع وما اشتملت عليه من حقوق، وأن الإسلام سبق في هذا المجال.

وإذا كانت الدراسة الحالية تختلف عن هذه الدراسة في منهجيتها التي قارنت بين حقوق الإنسان في كل من خطبة حجة الوداع والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إلا أنه يمكن القول أن الباحث قد استفاد من تلك الدراسات السابقة عموماً فيما يلي:

- قد استفاد الباحث من تلك الأدبيات في الاطلاع على أحداث حجة الوداع وما ورد فيها من أحاديث مخرجة على كتب السنة.
- تحديد المنهج المناسب لتحقيق هدف الدراسة الحالية.

- إبراز العلاقة بين الجوانب الفقهية والدعوية في حجة الوداع بالمبادئ والقيم والأساليب التربوية وآثارها على كل من الفرد والمجتمع.

الفصل الثاني:

المبادئ التربوية المستنبطة من حجة الوداع

وفيه ستة مباحث:

أولاً: تربية المسلم على مبدأ تحقيق التوحيد لله وحده.

ثانياً: التربية على مبدأ تعظيم شعائر الله.

ثالثاً: التربية على مبدأ إظهار البراءة من المشركين ومخالفتهم.

رابعاً: التربية على مبدأ احترام حقوق الآخرين.

خامساً: التربية على مبدأ توحيد الأمة وائتلافها، وتحذيرها من الفتن والافتراق.

سادساً: التربية على مبدأ الاتباع وتوحيد مصدر التلقي.

الفصل الثاني

المبادئ التربوية المستنبطة من حجة الوداع:

أولاً: تربية المسلم على مبدأ تحقيق التوحيد لله وحده.

التوحيد من القضايا المهمة التي أكد عليها النبي ﷺ في حجته، بل أكد عليها وعمل على تحقيقها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ ﴾ (سورة البقرة، آية ١٩٦) "وفيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى" (ابن سعدي،١٤٢٠، ص٩٠).فالمسلم أول ما يبدأ حجه بإعلان التوحيد ونبذ الشرك، وتحقيق هذا أعظم مقصود للعبادات، فلا يمكن أن تستقيم عبادة من العبادات وهي خالية من هذا المعنى، فهو الغاية العظمى ورأس الأمر وعموده وذروة سنامه.

ومن ثم كانت حجة الوداع للنبي ﷺ متممة لما بدأه ﷺ منذ بعثته، فاحتوت هذه الحجة على مشاهد كثيرة تحقق التوحيد لله وحده وتربي المسلم على هذا المبدأ الأصيل. ومما تضمنته مشاهد التوحيد في حجة الوداع:

أ- التلبية فعن جابر - رضي الله عنه- قال: أهل رسول الله ﷺ بالتوحيد "أهل بالتوحيد لبيك اللهم، لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص ٨٨٧)، "يقولها ويرفع بها صوته، وهو في الوقت نفسه مستشعر ما دلت عليه من وجوب إفراد الله وحده بالعبادة" (البدر، ١٤١٨هـ، ص١٩) "ورفع الصوت بالإهلال من شعار الحج" (ابن خزيمة،١٣٩٠هـ، ج٤، ص١٧٣). قال ابن عمر – رضي الله عنهما - "لا يزيد على هؤلاء الكلمات" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٧، رقم الحديث ٥٩١٥، ص١٦٢)، وجاء "عن أبي هريرة – رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال في تلبيته: "لبيك إله الحق، لبيك" (ابن ماجة ، ١٤٢٠هـ، ج٢، رقم الحديث ٢٩٢٠، ص٩٧٤).

وقد بين ابن القيم ما اشتملت عليه كلمات التلبية من قواعد عظيمة وفوائد جليلة، منها:

إحداها: أن قول لبيك يتضمن إجابة داع دعاك ومناد ناداك ولا يصح في لغة ولا عقل إجابة من لا يتكلم ولا يدعو من أجابه.

الثانية: أنها تتضمن المحبة، ولا يقال لبيك إلا لمن تحبه وتعظمه.

الثالثة: أنها تتضمن التزام دوام العبودية، ولهذا قيل هي من الإقامة أي أنا مقيم على طاعتك.

الرابعة: أنها تتضمن الخضوع والذل أي خضوعا بعد خضوع من قولهم أنا ملبٍ بين يديك أي خاضع ذليل.

الخامسة: أنها تتضمن الإخلاص ولهذا قيل إنها من اللب وهو الخالص.

السادسة: أنها تتضمن الإقرار بسمع الرب تعالى إذ يستحيل أن يقول الرجل لبيك لمن لا يسمع دعاءه.

السابعة: أنها تتضمن التقرب من الله ولهذا قيل إنها من الإلباب وهو التقرب.

الثامنة: أنها جعلت في الإحرام شعاراً لانتقال من حال إلى حال ومن منسك إلى منسك كما جعل التكبير في الصلاة سبعا للانتقال من ركن إلى ركن. ولهذا كانت السُّنة أن يلبي حتى يشرع في الطواف، فيقطع التلبية، ثم إذا سار لبى حتى يقف بعرفة، فيقطعها، ثم يلبي حتى يقف بمزدلفة، فيقطعها، ثم يلبي حتى يرمي جمرة العقبة، فيقطعها، فالتلبية شعار الحج والتنقل في أعمال المناسك فالحاج كلما انتقل من ركن إلى ركن قال: لبيك اللهم لبيك. كما أن المصلي يقول في انتقاله من ركن إلى ركن الله أكبر، فإذا حل من نسكه قطعها، كما يكون سلام المصلي قاطعا لتكبيره.

التاسعة: أنها شعار التوحيد، الذي هو روح الحج ومقصده بل روح العبادات كلها والمقصود منها، ولهذا كانت التلبية مفتاح هذه العبادة التي يدخل فيها بها.

العاشرة:أنها متضمنة لمفتاح الجنة والإسلام، وهي كلمة الإخلاص؛ الشهادة بأنه لا شريك لله." (ابن القيم ١٤١٥هـ، ج٥، ص١٧٧).

هكذا جاء الإسلام بهذا الإهلال لتربية المسلم على الابتعاد عن الشرك كبيره وصغيره، ومخالفة المشركين وهو معنى قول الله عنهم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (سورة يوسف، الآية١٠٦).

ب- ومن مشاهد حجة الوداع أيضاً والدالة على تحقيق التوحيد لله وحده، اعتنائه ﷺ بإخلاص العمل، بل إنه سأل ربه تبارك وتعالى أن يجنبه الرياء والسمعة، كما جاء في حديث أنس – رضي الله عنه –أن رسول الله ﷺ قال: "اللهم حجة لا رياء فيها، ولا سمعة" (ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٢٨٩٠، ص٩٦٥).

وبهذا يتضح أن قبول الأعمال عند الله تتوقف على الإخلاص له وحده قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾(سورة البينة، آية٥)وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (سورة الكهف، آية١١٠). قال ابن كثير: "وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله ﷺ."(ابن كثير،١٤١٤هـ، ج٣، ص١٣٣).

ج- ومن مشاهد حجة الوداع للنبي ﷺ والتي تدل على التوحيد والإخلاص، قراءته في ركعتي الطواف بسورتي الإخلاص، كما روى جابر – رضي الله عنه - قال: "فقرأ فيهما [أي الرسول ﷺ] بالتوحيد وقل يا أيها الكافرون"(أبو داود، ١٤١٩هـ ، ج٢، رقم الحديث ١٩٠٩، ص ١٨٧) وفي رواية "قرأ في ركعتي الطواف بسورتي الإخلاص: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَٰفِرُونَ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾" (الترمذي،١٤٢٠هـ، ج٣، رقم الحديث ٨٦٩، ص ٢١٢).

ومما تضمنته ركعتي الطواف التوحيد العلمي والعملي"والتوحيد العلمي أساسه إثبات صفات الكمال للرب تعالى، ومباينته لخلقه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل. والتوحيد العملي أساسه تجريد القصد بالحب والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والاستعانة والاستغاثة والعبودية بالقلب واللسان والجوارح لله وحده"(ابن القيم، ١٤١٨هـ، ج٢، ص ص٤٠٢-٤٠٣).

ويبين ابن القيم – رحمه الله – ذلك، فسورة الإخلاص تتضمن التوحيد والاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية، والصمدية، ونفي الولد والوالد، ونفي الكفء، لذلك كانت تعدل ثلث القرآن، فأخلصت سورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الخبر عنه وعن أسمائه وصفاته، فعدلت ثلث القرآن، وخلصت قارئها المؤمن بها من الشرك العلمي. كما خلصت سورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾من الشرك العملي الإرادي القصدي، فهي تعدل ربع القرآن. وقد جاء في الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن (الترمذي، ١٤٢٠هـ، رقم الحديث ٢٨٩٤ ، ج٥، ص١٦٦) قال الشيخ الألباني: صحيح دون فضل زلزلت ، لهذا قرأ الرسول ﷺ بهاتين السورتين في ركعتي الطواف ولأنهما سورتا الإخلاص والتوحيد، وكان يفتتح بهما عمل النهار ويختمه بهما، ويقرأ بهما في الحج الذي هو شعار التوحيد." (ابن القيم،١٤٠٧هـ، ج١، ص٣١٦-٣١٧-٣١٨).

د- ومن مشاهد تحقيق التوحيد كذلك في حجة الوداع، دعائه ﷺ بالتوحيد على الصفا والمروة كما في حديث جابر – رضي الله عنهما- قال: "بدأ رسول الله ﷺ بالصفا، فرقي عليه، حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره، وقال: «لا إله إلا الله

وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده... ثم دعا بين ذلك، قال: مثل هذا ثلاث مرات ... حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص٨٨٨).

ومن مظاهر اهتمامه ﷺ بالدعاء بالتوحيد، دعائه في أفضل يوم طلعت عليه الشمس - يوم عرفة - يدعو بالتوحيد، كما جاء عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال: " خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"(الترمذي، ١٤٢٠هـ، ج٥، رقم الحديث ٣٥٨٥، ص٥٧٢).

الآثار التربوية لمبدأ تربية المسلم على تحقيق التوحيد لله وحده.

١- الحج تربية ورياضة كافية للنفس على أن تكون دائماً في ذكر الله، فإذا تدفق العبد بمناجاة ربه في الحج عوض كثيراً من غفلته وكان على ذكر لما يستأنف من حياته.

٢- ترويض النفس على مناجاة الله تعالى وذكره، فيكون لسانه رطباً بذكر الله، فتتحقق له الطمأنية والسعادة، ويكون دائماً مرتبطاً بإله عظيم يشغله عمن سواه من الخلق، وهو أعظم ما يشتغل به ذكره تعالى، قال ﷺ:"قال لا يزال لسانك رطباً بذكر الله عز و جل" (ابن ماجة، ١٤٢٠هـ، ج٢، رقم الحديث ٣٧٩٣، ص ١٢٤٦) "ولهذا المعنى كررت التلبية إيذانا بتكرير الإجابة." (ابن القيم، ١٤١٥هـ، ج٥، ص١٧٥).

٣- تربية المسلم على جعل الولاء لله وحده، فيتحرر الإنسان من الخضوع والذل والاستسلام لغير الله، كما يحرر عقله من الخرافات والأوهام. يقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنعام، الآية١٦٢).

٤- تربية المسلم على تحديد الهدف في كل مناشط حياته، فإذا كان التوحيد والعبودية هو الهدف من الخلق ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(سورة الذاريات،آية٥٦) فإن هذا يتطلب من المسلم أن يحدد لكل خطوة يخطوها موضعها حتى تصير حياته على بينة وبرهان.

٥- تربية المسلم على تجريد نفسه من علائق الدنيا، لأنه رحيل إلى الله بملابس الإحرام التي تذكر الإنسان بموقفه أمام ربه يوم الحساب متجرداً من كل ما سوى العمل الصالح فهو من هذه الناحية تربية روحية.

٦- تربية المسلم على ترويض صحته لجسمه، فيحفظ الحج للجسم صحتها، وللنفس سلامتها عن طريق النظافة والطهارة والمشي والهرولة والضبط لبعض متطلبات النفس التي تمتنع عليها من الإحرام حتى الإحلال، وإذا ارتبط ذلك بالدعاء والتلبية وقراءة القرآن وأداء المناسك فإنه يعتبر تربية صحية ونفسية وروحية، لأنه ينمي في النفس جوانبها المادية والروحية.

٧- لما كانت السنة هي الصعود على الصفا والمروة، كان لذلك الصعود أثراً بالغاً في النفس أكد ذلك شيخ الإسلام بقوله: "إن صعود الأشياء العالية يدل على علو الهمة، ويشحذ النفس أن تتعلق بعظيمها فتعظمه بالشيء الذي يستحقه ويتناسب مع ما هو عليه، فكان التكبير سمة غالبة لرسول الله ﷺ حينما يصعد مرتفعاً، وكما جمع بين التكبير والتهليل في الأذان جمع بينهما في تكبير الأشراف فكان على الصفا والمروة وإذا علا شرفاً في غزوة أو حجة أو عمرة يكبر ثلاثاً" (ابن تيمية، ١٤١٦هـ، ج٢٤، ص ٢٣٣).

ثانياً: التربية على تعظيم شعائر الله:

تطلق الشعائر في اللغة على ثلاثة معانٍ هي:

أ- "النسك والعلامة في الحج".

ب- "البدنة المهداة إلى البيت الحرام، من الإشعار وهو إعلامها ليعرف أنها هدي، أو من الشعر لأنها إذا جُرحت أزيل شي من شعرها عن محل الجرح"(المناوي،١٤١٠هـ، ص٢٠٥).

ج- "كلّ ما جعل عَلَماً على طاعة، وبهذا المعنى قد يقال: شعائر الدين، وشعائر الله، ولا يقصد بها القواعد التي انبنى عليها الإسلام"(المقري، ١٤٠٨هـ، ج٧، ص٣٩٧)، "ويدخل في ذلك العبادات كلها" (الرازي، ١٤٠١هـ، ص ص٢٣-٣٠).

قال عطاء بن أبي رباح: "شعائر الله جميع ما أمر الله به ونهى عنه. وقال الحسن: دين الله كله" (القرطبي، ١٣٨٤هـ، ج٦، ص٣٧) وشعائر الله في الحج "هي المتضمنة خضوع العبد لربه فإن النسك عبودية محضة لله وذل وخضوع لعظمته." (ابن القيم، د.ت، ص ٢٨)، والتعظيم محله ومكانه عزيز فهو في القلب، والمسلم "يسير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح" (ابن القيم،١٣٩٣هـ، ص١٤١)، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (سورة الحج،آية٣٢) وقال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (سورةالحج، آية٣٠). وقال ﷺ وهو المبلغ عن الله: "اتق المحارم تكن أعبد الناس" (الترمذي،١٣٩٥هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٣٠٥ ، ص٥٥١).

وكما أمر الله بتعظيم الشعائر، كذلك حذر ووعد من استخف بها، ووقع في حرماته، وقرب حدوده – خصوصاً في بيته الحرام مكان الحج والعمرة والطواف والسعي – بالعذاب الأليم قال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة الحج، آية ٢٥).

ولقد كان المصطفى ﷺ أشد تعظيماً لشعائر الله، امتثلها وطبقها، ويظهر ذلك واضحاً في حجته من خلال العديد من الصور:

أ- الاغتسال قبل الإحرام:

فكان النبي ﷺيبدأ بالغسل لما يعظم من شعائر الله، فعن زيد بن ثابت عن أبيه، أنه "رأى النبي ﷺ تجرد لإهلاله واغتسل" (الترمذي، ١٣٩٥هـ ، ج٣، رقم الحديث ٨٣٠، ص١٨٣)، فاهتمامه بالغسل لهذا النسك يدل على تعظيمه له. وهكذا فعل الصحابة – رضوان الله عليهم –، فكان عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – "يغتسل لإحرامه قبل أن يحرم، ولدخول مكة، ولوقوفه عشية عرفة" (المباركفوري، ١٣٨٣هـ، ج٣، ص ٤٩٨).

ب- التطيب قبل الإحرام في جميع المنسك:

ومما برز تعظيمه في – حجة الوداع – لشعائر الله، التطيب لتلك المناسك فعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: "كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه قبل أن يحرم، ولحله قبل أن يطوف بالبيت» (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١١٨٩، ص ٨٤٦).

فكان ﷺ مما يحبه من الدنيا الطيب ، فعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : "حُبب إليَّ من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة" (النسائي، ١٤٠٦هـ، ج٧، رقم الحديث ٣٩٣٩، ص ٦١)، ومع تعظيمه ﷺ لهذا

الشعيرة بالتطيب لها، إلا إنه يكمل تعظيمه بأنه إذا أحرم امتنع عن التطيب، مع حبه له.

فقد كان من سنته أن يتطيب في رأسه ولحيته ﷺ ، فعن عائشة – رضي الله عنها – فقالت:"كنت أطيب رسول الله ﷺ بأطيب ما كنت أجد من الطيب حتى أرى وبيص الطيب في رأسه ولحيته قبل أن يحرم" (النسائي، ١٤٠٦هـ، ج٥، رقم الحديث ٢٧٠١، ص١٤٠)، فقالت – رضي الله عنها – : "كنت أطيب رسول الله ﷺ ، فيطوف على نسائه ، ثم يصبح محرما ينضخ طيبا" (البخاري،١٤١٩هـ، ج١، رقم الحديث ٢٦٤، ص ١٠٤).

وقالت – رضي الله عنها –: "كنت أطيب النبي ﷺ قبل أن يحرم ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١١٩١، ص٨٤٩).

وذكر ابن القيم: "المسك ملك أنواع الطيب وأشرفها وأطيبها وهو الذي تضرب به الأمثال ويشبه به غيره ولا يشبه بغيره وهو كثبان الجنة" (ابن القيم، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص٣٩٥)

وفي موضع آخر يؤكد أَنّ: "خير طيب الرجال ما خفي لونه وظهر ريحه" (ابن القيم،١٤١٥هـ، ج٤، ص٢٧٩).

والاغتسال والتطيب نجد فيهما التربية الجمالية للمسلم، فالاغتسال دل على النظافة الحسية، والتطيب كانت زينة لهذه النظافة بروائحه الطيبة التي تنشط النفس، ويألفها كل أحد.

ج- سوق الهدي من الميقات:

ومن صور تعظيمه ﷺ لشعائر الله في حجة الوداع، سوقه البدن هدياً من ذي الحليفة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن وسلت الدم وقلدها نعلين، ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء أهل بالحج" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢ رقم الحديث ١٢٤٣، ص٩١٢)، والبدن من شعائر الله كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة الحج،آية٣٦)، قال النووي: "وإشعار الهدي لكونه علامة له وهو مستحب ليعلم أنه هدي، فإن ضل رده واجده، وإن اختلط بغيره تميز" (النووي،١٣٩٢هـ ، ج٨، ص٢٢٨)، بل إنه نهى ﷺ عن ركوب الهدي إلا لضرورة، كما يدل على ذلك حديث جابر – رضي الله عنه – قال : «اركبها بالمعروف، إذا ألجئت إليها حتى تجد ظهرا» (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٣٢٤، ص ٩٦١).

ودل سوق الهدي على التربية الاجتماعية؛ وذلك بإطعام الفقراء وسد حاجتهم، وفي ذلك من التكاتف الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

د- تقبيل الحجر الأسود:

ومن صور تعظيمه ﷺ لشعائر الله في حجة الوداع تقبيله الحجر الأسود، إذ التزمه وقبله وسجد عليه، وبكى عند ذلك، واستلامه الركن اليماني، كما جاء عن سويد بن غفلة قال: "رأيت عمر قبل الحجر والتزمه، وقال: رأيت رسول الله ﷺ بك حفياً" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢٧١، ص٩٢٦)، هكذا ربى الرسول ﷺ المسلمين على تعظيم شعائر الله، وامتثل الصحابة – رضي الله عنهم – فعله "فقبل عمر بن الخطاب الحجر، ثم قال: أما والله لقد علمت أنك حجر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك" (مسلم، ج١٤١٩،٢هـ، رقم الحديث ١٢٧٠، ص٩٢٥). قال الطبري: "إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظن الجهال

أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ. لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان" (ابن حجر، ١٣٧٩هـ، ج٣، ص٤٦٣).

ولتعظيم شعائر الله كما جاء عن الرسول ﷺ وللتحذير من مخالفته ﷺ في ذلك أورد ابن القيم أن لتقبيل الحجر واستلامه ثلاثة أنواع صحت عن رسول الله ﷺ: "تقبيله وهو أعلاها، واستلامه وتقبيل يده، والإشارة إليه بالمحجن وتقبيله" (ابن القيم، ١٤١٥هـ ج٥، ص٢٣٢)، والمحجن "عصا معقفة الرأس كالصولجان" (النسائي، ١٤٠٦هـ، ج٣، ص١٤٧) وقال النووي: "عصا معقفة يتناول بها الراكب ما سقط له ويحرك بطرفها بعيره للمشي" (النووي،١٣٩٢هـ، ج٩، ص١٨).

وفي الاقتداء بسنته ﷺ في تقبيل أو استلام أحد الأركان دون غيرها تعظيم كذلك لشعائر الله، وعلل الإمام النووي استلامه ﷺ لليمانيين دون غيرهما بقوله:" واستلم اليمانيان، فالركن الأسود فيه فضيلتان، إحداهما: كونه على قواعد إبراهيم ﷺ ، والثانية: كونه فيه الحجر الأسود. وأما اليماني ففيه فضيلة واحدة وهى كونه على قواعد إبراهيم. وأما الركنان الآخران فليس فيهما شيء من هاتين الفضيلتين، فلهذا خص الحجر الأسود بشيئين: الاستلام والتقبيل للفضيلتين، وأما اليمانى فيستلمه ولا يقبله لأن فيه فضيلة واحدة، وأما الركنان الآخران [الشاميان] فلا يقبلان ولا يستلمان." (النووي،١٣٩٢هـ، ج٩، ص١٤).

فتقبيل الحجر الأسود تربية إيمانية عقدية، إذ إن الإنسان مأمور بتقبيله إن استطاع وهو اتباع لسنة المصطفى ﷺ.

هـ- الصلاة خلف مقام إبراهيم:

ومن تعظيمه ﷺ للشعائر - في حجته المباركة - صلاته خلف المقام، كما في حديث جابر - رضي الله عنه- حيث قال: "ثم نفذ ﷺإلى مقام إبراهيم عليه السلام، فقرأ: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ (سورة البقرة، آية١٢٥)، فجعل المقام بينه وبين البيت" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص ٨٨٧)، ومقام إبراهيم : "هو الحجر الذي كان قد قام عليه إبراهيم أيام كان يبني البيت وذلك أنه لما ارتفع البناء احتاج إبراهيم إلى حجر عال يرقى عليه ليواصل بناء الجدران، فجيء بهذا الحجر فقام عليه فسمي مقام إبراهيم" (الجزائري،١٤٢٤هـ، ج١، ص ١١١).

إن اتخاذ مقام إبراهيم مصلى كان من عهد إبراهيم - عليه السلام -، ولم يكن الحجر الذي اعتلى عليه إبراهيم في البناء مخصوصا بصلاة عنده، ولكنه مشمول للصلاة في المسجد الحرام. ولما جاء الإسلام بقي الأمر على ذلك إلى أن كان عام حجة الوداع أو عام الفتح، دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام ومعه عمر بن الخطاب ثم سنت الصلاة عند المقام في طواف القدوم. لذا قال عمر: "وافقت ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فأُنزِلَت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ (البخاري،١٤١٩هـ، ج١، رقم الحديث ٣٩٣، ص ١٥٧)، وقيل: "وتأويل قول عمر فأنزلت أنه نزل على النبي - ﷺ - شرع الصلاة عند الحجر المقام بعد أن لم يكن مشروعاً لهم" (ابن عاشور، **١٩٨٤م**، ج١، ص٧١١).

ويؤكد ابن سعدي – رحمه الله - معنى أعم وأشمل فيقول: " يحتمل أن يكون المراد بذلك، المقام المعروف الذي قد جعل الآن، مقابل باب الكعبة، وأن المراد بهذا، ركعتا الطواف، يستحب أن تكونا خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسرين، ويحتمل أن يكون المقام مفردا مضافا، فيعم جميع مقامات إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلها: من الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، ومزدلفة ورمي الجمار والنحر، وغير ذلك من أفعال

الحج، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿مُصَلًّى﴾ أي: معبداً، أي: اقتدوا به في شعائر الحج، ولعل هذا المعنى أولى، لدخول المعنى الأول فيه، واحتمال اللفظ له." (ابن سعدي،١٤٢٠هـ، ص٦٥)، وفي هذا تربية على العبادة والخضوع والذل والانكسار بين يدي الله تعالى.

و- ذكر الله عند المشعر الحرام:

ويبرز تعظيمه لشعائر الله في حجة الوداع وقوفه ﷺ بالمشعر الحرام طويلاً ، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (سورة البقرة، آية١٩٨).

ز- تعظيم زمان النسك ومكانه:

ولقد عظمالرسول ﷺ زمان النسك ومكانه أيما تعظيم، إذ قال عليه - الصلاة والسلام -: "إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا"(مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص٨٨٩).

فمن اقتدى بالرسول ﷺ في حجته، معظماً شعائر الله في أيام الحج، ومكانه، فلم يتعد على أحدٍ في دمه أو ماله، ولم يعبث بهذا البلد في أرضه وشجره...، وعظم هذه الأيام، رجع بالأجر العظيم فقال ﷺ: "من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه"البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٣، رقم الحديث ١٨١٩، ص ١١).

الآثار التربوية لمبدأ التربية على تعظيم شعائر الله:

١-التربية على التزود بالتقوى ، ولقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (سورة الحج، آية٣٧) ، وقوله جل شأنه: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (سورة البقرة، آية

١٩٧)، وقال أيضاً: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (سورة الحج، آية٣٢)، وتدل هذه الآيات على أن أهم مقاصد أداء مناسك الحج استشعار التقوى والتزود منها.

٢- الترابط والتلازم بين العقيدة التي يحملها المسلم وتلك الشعائر التي يطبقها، وفعل هذه الشعائر بتلك الجوارح هو تعبير لما القلب من التمسك بالعقيدة الصحيحة.

٣-إن استشعار لقاء الله ومقابلته دليل تعظيم القلب له، وما فعله رسول الله ﷺ من اغتساله وتطيبه، إلا دليل على تعظيمه هذا النسك. وللاقتداء به ﷺ - حتى في أبسط الأمور كم يظنها البعض – مردود تربوي بالغ الأهمية على جميع جوانب النفس البشرية. فالطيب – مثلاً - "غذاء الروح التي هي مطية القوى تتضاعف وتزيد بالطيب كما تزيد بالغذاء والشراب والدعة والسرور ومعاشرة الأحبة" (ابن القيم،١٤١٥هـ، ج٤، ص ٣٣٧)، ويؤكد على هذا المفهوم ابن مفلح ويقول: "أن الطيب يتخذ لحفظ الصحة" (ابن مفلح،١٤١٩هـ، ج٣، ص٤١١)، ويؤكد ابن قيم الجوزية فوائد الطيب بأن "له تأثير في حفظ الصحة ودفع الآلآم وأسبابها بسبب قوة الطبيعة به" (ابن القيم، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص٣٣٧).

٤- تحديد الأولويات، وإنزال الناس منازلهم، فمن استلام الحجرين وترك الآخرين، استنبط الشافعي"حفظ المراتب وإعطاء كل ذي حق حقه وتنزيل كل أحد منزلته " (ابن حجر، ١٤١٨هـ، ج٣، ص٤٧٥).وفيه أيضاً أن كل من زاد في الإحسان لك زادت العناية به، فكما أن رسول الله ﷺ، اهتم بالجهاد وأعطى كل واحد منهما بحسب الفضل الذي فيه، فكذلك الإنسان؛ فكل من كان له فضل عليك وجود وإحسان، كانت العناية به من باب أولى.

والناس يتفاضلون في هذا، فمن أقرض مالاً أو شيئاً في المرة الأولى فهو محسن ومن أقرض في المرة الثانية فهو متصدق، وأيضاً جعل رسول الله حق الوالدين متفاوتاً؛ فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ "قال: أمك، قال ثم من؟ قال: ثم أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: ثم أبوك" (البخاري،١٤٢٢هـ، ج٥، رقم الحديث ٥٦٢٦ ، ص ٢٢٢٧)، فأوصى ببر الأم ثلاثاً وللوالد بواحدة ، وذلك لأن الأبَّ شارك الأم فقط في الماء، بينما الأم شاركت في الماء والحمل في رَحِمَها مع المعاناة، وفي الرضاع حتى الفطام، فكان التوجيه النبوي للأم أكثر رعاية وعناية وبراً، ونقل الحارث المحاسبي "إجماع العلماء على أن الأم تفضل في البر على الأب" (النووي، ١٣٩٢هـ، ج١٦، ص١٠٢).

٥- ومن الآثار التربوية أن صلاح الأرض وبقاء النوع الإنساني واستقرار الحياة مرهون كل أولئك بمدى ترسيخ تلك الحرمات التي أكدها ﷺ في خطبته يوم النحر بقوله: "إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص٨٨٩). ومتى اختل شيء منها اختلت حياة الإنسان، وزال الاستقرار، وانتشرت الفوضى.

٦- تزكية النفس والتسامي بها من خلال الالتزام بالآداب والأخلاق الحسنة، وصون اللسان من الغلط واللغو وفحش الكلام أثناء تأدية مناسك الحج، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(سورة البقرة،آية ١٩٧)

٨- الافتقار إلى الله في كل صغيرة وكبيرة، سواء أكانت في الشدة أم الرخاء، وفي الحج تبرز التربية على الإنابة والتوبة لله – عز وجل – من الذنوب والعتق من النار، "فعن عائشة – رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عز وجل فيه عبدا أو أمة من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة ويقول ما أراد هؤلاء" (النسائي،١٤٠٦هـ، ج٥، رقم الحديث ٣٠٠٣، ص ٢٥١).

٩-تربية المسلم على التحلي بالصبر، والصبر بأنواعه الثلاث - صبر على طاعته، وصبر عن معصيته، وصبر على أقدار الله – موعودة بالخير والفلاح والنجاة من الخسارة في الدارين قال تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ (سورة العصر،الآيات ١ – ٣)

١٠- تبرز المنافع الروحية للحج أنه مدرسة لتربية النفس والسمو بها إلى العلا ، فيها يتعلم المسلم كيف يعيش فى عبادة خالصة لله سبحانه وتعالى وأن يكبح الشهوات واللذائذ ونزوات الشر ، فيها يعود الإنسان نفسه على التضحية والجهاد والالتزام بالطريق السوى ، فيها يربى الإنسان نفسه على حب الله ورسوله والولاء للإسلام كمنهج حياة ، لا اشتراكية ولا رأسمالية ... ، فيها يتحسس الإنسان الاقتداء برسول الله ﷺ وبأصحابه والمجاهدين الذين جاهدوا فى الله حق جهاده حتى أتاهم اليقين وتركوا لنا راية الإسلام مرفوعة فى ربوع العالم ، إن من يتعلم فى هذه المدرسة ويحرص على الاستفادة بما فيها من دروس تربوية يكون جزاؤه الجنة بأمر الله سبحانه وتعالى الذى وعد بذلك على لسان سيدنا محمد ﷺ الذى قال " الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة " (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٦٨٣، ص ٦٢٩).

١١- الحج اختبار لقوة الإيمان ، فمن أهم غرائز النفس البشرية حب الشهوات من النساء والبنين والأموال والتمتع بلذائذ الحياة الدنيا المختلفة، وفى الحج يترك الناس هذه اللذائذ وينسون رغبات الدنيا ويتجنبون الشهوات .. ففى ذلك اختبار على قوة الإيمان وصدق العقيدة والإخلاص فى حب الله ورسوله ، فالحجاج أثناء أداء المناسك يؤمنون إيماناً راسخاً بأن اتقاء الله والعمل على الفوز برضائه وغفرانه خير من تلك الشهوات الزائلة، ولذلك يعتبر الحج المبرور من مقاييس صدق العقيدة وقوة الإيمان.

ثالثاً: التربية على مبدأ إظهار البراءة من المشركين ومخالفتهم.

الإسلام والشرك، نقيضان لا يجتمعان، وقد جاء الإسلام بهدم الشرك وتعرية المشركين، فمن لم يعبد الله وحده فهو عابد لغير الله لا محالة، وواقع في الشرك، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (سورة الإنسان، آية ٣) وقال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (التغابن، آية٢)، ولا يستقران إلا بذهاب الآخر منهما، كالماء والنار، ولهذا أول شئ فعله المسلمون بعد ما استقر الأمن في مكة المكرمة ، هو إبعاد مظاهر الشرك وإزالتها، وطمس آثارها ومعالمها، بل إنه ﷺ أبى أن يدخل البيت وفيه الأوثان حتى يخرجوها، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: "إن رسول الله ﷺ لما قدم، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت. فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام فقال رسول الله ﷺ: قاتلهم الله أما والله قد علموا أنهما لم يستقيما بها قط، فدخل البيت فكبر في نواحيه ولم يصل فيه" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٥٢٤، ص٥٨٠)، ولما أنزل الله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ (سورة التوبة، آية ٢٨)، سارع لامتثال أمر الله تعالى، "فأمر أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – وبعثه في الحجة التي أَمّرَهُ عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس ألاّ يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٥٤٣، ص ٥٨٦).

وتعمد رسول الله ﷺ في حجة الوداع مخالفة المشركين في أفعالهم، ومعتقداتهم، كما تعمد ﷺ انتهاج سنة أبي الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – في أغلب شعائر الحج وأحكامه، حتى أكد ذلك جلياً واضحاً في حجته بقوله ﷺ:"هدينا مخالف لهديهم"

(البيهقي،١٤٢٤هـ، ج٥، رقم الحديث ٩٣٠٤، ص١٢٥)، فخالفهم فعلاً وعملاً، وأكده قولاً في خطبته يوم عرفة: "ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص ٨٨٦).

ومخالفة المشركين كانت أمراً بارزاً في حجته ﷺ، بل إن مخالفتهم لم تكن إلاّ لغاية شرعية، كـ:

١- التصحيح ، وهو إما تصحيح عقيدة، أو تصحيح تشريع، أو تصحيح مفهوم.

٢- إظهار الخوف من الله تعالى بمخالفة المشركين في فعل كانوا أحدثوه في مكان بعينه فنزل فيهم بأس الله بذلك المكان.

٣- إظهار الشكر لله تعالى بالتأسيس لفعل يذكر بعمل قام به المشركون في مكان بعينه ثم خيبهم الله تعالى بذلك." ومعنى أن المخالفة كانت مرتبطة بغاية أن النبي ﷺ لم يكن يغير لمجرد التغيير والمخالفة، بل كان يغير ما يمس عقيدة التوحيد، أو يخالف المناسك الإبراهيمية." (الروسي، ١٤٢٨هـ، ص٦٣).

ومن الصور التي أظهر فيها الرسول ﷺالبراءة من المشركين ومخالفة أفعالهم:

أ- مخالفة المشركين في التلبية:

فقد جاء النبي ﷺ في حجته بتلبية الإسلام: "لبيك اللهم، لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك " (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص ٨٨٧). فصحح ﷺ بتلبيته العقيدة الفاسدة حيث كان المشركون إذا طافوا بالبيت لبوا قائلين "إلا شريكا هو لك، تملكه

وما ملك " (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١١٨٣، ص ٨٤٣).

ب- مخالفة المشركين في هيئة الطوائف:

وخالفهم رسول الله ﷺ في هيئة طوافهم، فقد كانت "قريشا ابتدعت قبل الفيل أو بعده أن لا يطوف بالبيت أحد ممن يقدم عليهم من غيرهم أول ما يطوف إلا في ثياب أحدهم، فإن لم يجد طاف عرياناً، فإن خالف وطاف بثيابه ألقاها إذا فرغ، ثم لم ينتفع بها. فجاء الإسلام فهدم ذلك كله" (ابن حجر، ١٤١٨هـ، ج٣، ص٤٨٣).

ج- مخالفة المشركين في الوقوف في مشاعر الحج:

وامتدت مخالفة النبي ﷺ في حجته إلى مشاعر الحج؛ فكان وقوفه - عليه الصلاة والسلام - مع الناس بعرفة، ومخالفته لكفار قريش الذين كانوا يقفون في مزدلفة ويقولون:"لا نفيض إلا من الحرم" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٩، ص ٨٩٤).

وإفاضته ﷺ من عرفة بعد مغيب الشمس، ومن مزدلفة قبل طلوعها، مخالفاً هدي المشركين الذين كانوا يفيضون من عرفة قبل المغيب، ومن مزدلفة بعد الشروق، كما جاء في حديث المِسْوَر بن مخرمة- رضي الله عنه- قال: "خطبنا رسول الله ﷺ بعرفة، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من ها هنا عند غروب الشمس حتى تكون الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال على رؤوسها ، هدينا مخالف لهديهم"(البيهقي،١٤٢٤هـ، ج٥ رقم الحديث ٩٥٢١، ص ٢٠٤).

ومن أجل ذلك جاءت مخالفتهم"فالإسلام يبطل عادات الحُمْس فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً ﷺ فأنزل عليه حين أحكم له دينه وشرع له سنن حجه ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٩٩)، يعني قريشاً والناس العرب فرفعهم في سنة الحج الى عرفات والوقوف عليها والإفاضة منها" (المعافري، ١٤١١هـ، ج٢، ص٢٦). "والحمس هم قريش ومن ولدته قريش وكنانة وجديلة قيس، سموا حمساً؛ لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا، وقيل سموا حمساً بالكعبة؛ لأنها حمساء حجرها أبيض يضرب إلى السواد" (النووي،١٣٩٢هـ، ج٨، ص١٩٧).

د- مخالفة المشركين في الذبائح:

وكما خالف المشركين في تحريمهم على أنفسهم لحوم نسكهم. حيث نزل قول الله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة الحج،الآية ٣٦) ، وهو ما فعله في حجة الوداع، قال جابر- رضي الله عنه -: "ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده، وأعطى علياً، فنحر ما غبر، وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر، فطبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها".(ابن ماجة، ١٤٢٠هـ، ج٢، رقم الحديث ٣٠٧٤، ص١٠٢٢).

هـ - مخالفة المشركين في العمرة بعد الحج:

وكان مما تعمد فيه مخالفة المشركين، إعماره - صلوات الله وسلامه عليه – لعائشة – رضي الله عنها – بعد الحج، فقد كانوا لا يرون حل العمرة إلا إذا دخل صفر، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" والله ما أعمر رسول الله ﷺ عائشة في ذي الحجة

إلا ليقطع بذلك أمر أهل الشرك، فإن هذا الحي من قريش ومن دان دينهم كانوا يقولون: إذا عفا الوبر وبرأ الدبر ودخل صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر فكانوا يحرمون العمرة حتى ينسلخ ذو الحجة والمحرم " (أبو داود، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٩٨٧، ص ٢٠٤).

و- مخالفة المشركين في أماكن تعبدهم بما جاء به الإسلام:

كذلك خالف ﷺ المشركين بإظهار شعائر الإسلام في الأماكن التي أظهروا فيها الكفر والعداوة لله ولرسوله ﷺ، وذلك حين قال ﷺ بمنى: "نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر: يعني ذلك المحصب، وذلك أن قريشا وكنانة، تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب، أو بني المطلب: أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم، حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٥٩٠، ص ١٤٨) ،"فلم يبرم الله لهم أمراً، بل كبتهم وردهم خائبين، فنصر نبيه ﷺ، وأعلى كلمته، وأم دينه القويم" (البعداني، ١٤٢٣هـ، ص٣٦)، قال ابن القيم: "وهذه كانت عادته - صلوات الله وسلامه عليه -، أن يقيم شعار التوحيد في مواضع شعائر الكفر، كما أمر النبي ﷺ أن يُبْنَى مسجد الطائف موضع اللات والعزى" (ابن القيم، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص ص١٩٤-١٩٥).

ز- مخالفة المشركين في قبيلة قريش ولبسهم للإحرام:

هذا فيما يتعلق بفعله - صلوات الله وسلامه عليه - في مخالفة المشركين، ولكن الأمر لم يتوقف عند ذلك، بل أمر أصحابه – رضي الله عنهم – "كأمره ﷺ في الإحرام لمن لم يكن قرشياً بمخالفة قريش فيما ابتدعه أن لا يطوف بالبيت أحد ممن يقدم عليهم من

غيرهم إلا في ثياب أحدهم، فإن لم يجد طاف عرياناً" (ابن حجر، ١٤١٨هـ، ج٣، ص ٤٨٣)

ح- مخالفة المشركين في أنساك الحج لمن ساق الهدي:

ومنه أيضاً أمره ﷺ لأصحابه ممن لم يسق الهدي بالتمتع، ليكون نسكهم مخالفاً للمشركين الذين "كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٥٦٤، ص١٤٢)

ط- مخالفة المشركين في وجوب السعي للمحرم:

ومن المخالفة للمشركين أمره ﷺ للأنصار – رضي الله عنهم – بالسعي بين الصفا والمروة إذ قال ﷺ: " اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي" (ابن خزيمة، ١٣٩٠هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٧٦٤، ص٢٣٢)، مخالفاً في ذلك ما كانوا عليه في الجاهلية – حين يتنسكون لأصنامهم – أن لا يحل لهم السعي بينهما، كما بينت عائشة – رضي الله عنها – لعروة بن الزبير حين قال لها: " ما أرى علي جناحا أن لا أتطوف بين الصفا والمروة، قالت: لم؟ قلت: لأن الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة البقرة، آية ١٥٨)، فقالت: لو كان كما تقول، لكان: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزل هذا في أناس من الأنصار كانوا إذا أهلوا، أهلوا لمناة في الجاهلية، فلا يحل لهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما قدموا مع النبي ﷺ للحج، ذكروا ذلك له، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلعمري، ما أتم الله حج من لم يطف بين الصفا والمروة "(مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢٧٧، ص٩٢٨).

الآثار التربوية لمبدأ التربية على إظهار البراءة من المشركين ومخالفتهم:

١- تحقيق العبودية بالعبادات التي شرعها الشارع الحكيم وامتثلها الرسول ﷺ قولاً، وفعلاً، وتطبيقاً، ولذا قال ابن القيم: "الشريعة قد استقرت ولا سيما في المناسك على قصد مخالفة المشركين، فالنسك المشتمل على مخالفتهم أفضل بلا ريب" (ابن القيم، ١٤١٥هـ، ج٥، ص١٤٦).

٢- تربية المسلم على تأكيد عقيدة الولاء والبراء وأن العزة لله ولرسوله ﷺوللمؤمنين، وفي البراءة من هوى النفس والشيطان والمشركين. لذا فإن تتبع خطوات الشيطان وهوى النفس أمر خطير على العقيدة ويجب الحذر منه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ (سورة البقرة،الآية ١٦٨) ،ولهذا وقعت قريش في هذين الخطرين حيث أوهمهم الشيطان، كما قال ابن هشام: إن قريشاً قالت:"فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ﷺ " (المعافري،١٤١١هـ، ج٢، ص٢١).

٣- تربية المسلم على التذكير باليوم الآخر والتجرد من علائق الدنيا، فاجتماع الناس على صعيد عرفة - ذلك المكان الذي خصصه النبي ﷺ لهم مخالفاً المشركين بذلك – لهو موقف مؤثر جداً، حيث يجتمع جميع الحجيج فيه ، لباسهم واحد، همهم واحد،

كلهم يريدون ما عند الله من المغفرة والرضوان، وسؤال حاجاتهم، فهو يذكر بموقف يوم القيامة العظيم.

رابعاً: التربية على مبدأ احترام ورعاية حقوق الآخرين.

إن الله تعالى قرر مبدأ التعامل بين الناس وجعله ضرورة بشرية وسنة كونية، وحرص رسول الله ﷺ على احترام الآخرين ومراعاة حقوقهم في حجته ﷺ وفي غيرها بل كان هذا هو دائم سلوكه.

أ- رعاية الحقوق بين الزوجات:

ففي حجته ﷺ راعى أهله، وأبرز ذلك مع زوجه عائشة - رضي الله عنها - وذلك حين دخل عليها وهي تبكي، لأنها منعت من العمرة المفردة بسبب الحيض، فواساها ﷺ وأخذ بخاطرها قائلاً: "فلا يضرك أنت من بنات آدم، كتب عليك ما كتب عليهن، فكوني في حجتك عسى الله أن يرزقكها" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٣، رقم الحديث ١٧٨٨، ص٥).

وحين قالت عائشة – رضي الله عنها - :" يا رسول الله، أترجع صواحبي بحج وعمرة وأرجع أنا بالحج، فأمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن أبي بكر، فذهب بها إلى التنعيم فلبت بالعمرة " (أبو داود، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٧٨٢، ص ١٥٤).

ولعل هذا الحق يدخل في باب العدل بين الزوجات فهي أقامت حجتها وتريد نظير مثيلاتها من زوجات رسول الله ﷺ فكلهن أخذن عمرة إلا هي.

ب- منع التملك في منى:

وحرص المصطفى ﷺ على حفظ حقوق الآخرين وحمايتها من الضياع، ويظهر ذلك في حجته حينما أبى على عائشة – رضي الله عنها - حينما قالت له: " ألا نبني لك بيتاً يظلك بمنى؟ قال: "لا، مِنًى مُنَاخُ مَنْ سَبَقَ" (الترمذي،١٣٩٥هـ ، ج٣، رقم الحديث ٨٨١، ص ٢١٩)، والحديث حسنه الترمذي، قال القرطبي: "مُناخُ من سبق فلا تباع رباعها ، ولا تكرى بيوتها ، ولا تحل لقطتها ، ولا تحل غنائمها ، فليست تشبه مكة شيئا من البلاد" (القرطبي،١٤٢٣هـ، ج٥، ص ٢٠٥).

ويؤكد ابن القيم أن مكة لها حق خاص عن غيرها وهو ما كان من رسول الله ﷺ حينما رفض أن يكون له شيء في منى فقال: وأما مكة، فإن فيها شيئا آخر يمنع من قسمتها ولو وجبت قسمة ما عداها من القرى، وهى أنها لا تملك، فإنها دار النسك، ومتعبد الخلق، وحرم الرب تعالى الذى جعله للناس سواء العاكف فيه والباد، فهى وقف من الله على العالمين، وهم فيها سواء، ومنى مناخ من سبق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة الحج، آية ٢٥)، والمسجد الحرام هنا، المراد به الحرم كله" (ابن القيم،١٤١٥هـ، ج٣، ص٤٣٤).

ج- حفظ حق السقاية في سقياهم:

ومن مبدأ احترام ورعاية حقوق الآخرين ما كان من رسول الله – ﷺ – حينما توقف عن مساعدة سقاة الناس من زمزم في السقيا؛ خوفاً من أن يضيع حقهم بغلبة الناس لهم عليه، وذلك حينما يقتدي الحضور من الناس به ﷺ، وقوله لهم – عليه الصلاة والسلام -:"لولا أن تُغْلَبُوا لنزلت، حتى أضع الحبل على هذه يعني: عاتقه، وأشار إلى عاتقه" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٦٣٥، ص١٥٦)، قال جماعة من أهل السير: "كانت السقاية للعباس مكرمة" (القرطبي، ١٤٢٣هـ، ج٤، ص ٣١٣)، وفي معنى الحديث قال الإمام النووي: "لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا الاستقاء" (النووي،١٣٩٢هـ، ج٨، ص١٩٤).

د- حفظ حق الإرث:

ويؤكد ﷺ في حجته حفظ حقوق الورثة بأن لا وصية لوارث، حيث قال ﷺ : "إن الله تبارك وتعالى قد أعطى لكل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث" (الترمذي،

١٣٩٥هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٢١٨، ص٤٣٣)، فيقرر أنّ المورث لا يحق له أن يحرم ورثته من ماله، ولا يجوز له أن يوصي لوارث؛ لأنه لا وصية لوراث، ذلك أن الشرع منحه حقه من الميراث دون وصية، مع جواز الوصية لمن لا يرث بوصية المورث على أن لا تزيد عن الثلث، فعن عامر بن سعد عن أبيه قال: جاءنا رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتد بي زمن حجة الوداع فقلت بلغ بي ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت بالشطر؟ قال: لا، قلت الثلث؟ قال: الثلث كثير، أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٥، رقم الحديث ٥٣٤٤ ، ص٢١٤٥)، وبذلك أعطى الإسلام المورِّث شيئاً من الحرية، وحفظ حقوق المورثين من الضياع.

ومن صور هذا المبدأ أيضاً عدم اختصاص خطابه ﷺ للمسلمين، بل هو للناس عامة ومن ذلك ما سمعه أبا أمامة في حجة الوداع عن رسول الله أن قال: "أيها الناس اسمعوا قولي فعسيتم أن لا تروني بعد عامكم هذا" (المتقي، ١٤٠٥هـ، ج٥، رقم الحديث ١٢٩٢٣، ص ٤٢٧)، ويؤكد هذا مبدأ عالمية الإسلام. فرغم نزول الإسلام باللغة العربية وعلى العرب، إلاّ إنه عالمي الرسالة، غير مغلق على نفسه، ولا متعصب ضد غيره، بل إنه يخاطب كافة الجماعات البشرية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(سورة الأنبياء، آية ١٠٧). وبهذا، كان خطاب النبي ﷺ للناس عامة تحولاً حضارياً متميزاً في مسيرة الإنسانية وفي نهج حياتها.

كذلك أرست حجة الوداع للنبي ﷺ احترام حقوق الإنسان؛ المخلوق المكرم من ربه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾(سورة الإسراء، آية ٧٠)، فالبشر متساوون في

التكريم، والخطاب الموحد لهم يؤكد على إخوتهم في الإنسانية، وأنه لا تمايز بينهم قائم على اختلاف أقوامهم وأجناسهم وأعرافهم وأوطانهم؛ فلكل فرد حقوق وواجبات تجاه سائر أفراد جنسه، والتمايز الحقيقي هو التقوى لله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (سورة الحجرات، آية ١٣).

و- الوصاية بالنساء:

ومن صور حقوق الإنسان التي أكد عليها الرسول ﷺ في حجته تلك التي تتعلق بالنساء حيث أوصى الرسول ﷺ على مراعاتهم بل وأكد على ذلك مراراً وتكراراً فقال: "فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص ٨٨٦).

ومن هذا الحديث يتبين أن حجة الوداع اهتمت بسلامة الركائز التي يقوم عليها البناء الإجتماعي من داخله، فلا قيام للأمة والمجتمع بدون ركائزه، والركيزة الأولى هي الأسرة، فلا سلامة إذا لم تسلم من غوائل الاعتداء، ولم تنهض من وطأة التسلط.

يتضح من هذا المبدأ سبق الإسلام كل المواثيق والاتفاقيات والمعاهدات الوضعية التي تنادي بحقوق الإنسان عامة،والمرأة بصفة خاصة، مما يؤكد عالمية رسالة الإسلام في المنزع والوجهة، كيف لا وهو الدين الخاتم الذي يتميز بالوسطية والتكامل والشمول ويرحب بالحوار مع الآخر ويشجع على الانفتاح المضبوط مع الآخرين.

الآثار التربوية لمبدأ التربية على احترام ورعاية حقوق الآخرين:

للتربية على احترام ورعاية حقوق الآخرين آثار تربوية مهمة على كل من الفرد والمجتمع، تتمثل في:

١- دفع الحوار والتسامح والتعاون والتفاهم والتواصل بين الأفراد والجماعات المختلفة تحقيقاً للأهداف الإنسانية، وإقراراً لمبدأ التعايش السلمي بين البشر، وتأسياً، لمستقبل أكثر أمناً.

٢- الإسهام في تحقيق التمنية الشاملة والمستدامة، والسير نحو التقدم المجتمعي، وتوطيد الحرية والمشاركة في مختلف قطاعات ومجالات الحياة.

٣- تنمية مهارات التواصل الإيجابي مع الآخر، الأمر الذي يؤدي إلى تفعيل الاحتكاك والاتصال بالعالم الخارجي فيزيد من تماسك ووحدة المجتمع، ويقلل من ممارسات العنصرية أو التمييز القائمة على الجنس أو العرق أو النسب أو اللون أو غير ذلك مما يتفاخر به الناس في الحياة الدنيا.

٤- تأصيل مبدأ حب لأخيك ما تحب لنفسك فتتحقق السعادة على المستويين الفردي والجماعي، فيعمل الكل لمصلحة الآخر، ومن ثم تسعد المجتمعات وتنأى عن الصراعات فيتحقق مراد الله من استخلاف الإنسان له في أرضه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (سورة الحجرات، آية ١٣).

٥- دعم مبدأ التنوع والاختلاف بين البشر، فينشأ الفرد على احترام ومراعاة حقوق غيره، رافضاً للتعصب أو العصبية، ساعياً لتوظيف القيم الدينية والأخلاقية

والاجتماعية...، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴾ (سورة هود،آية ١١٨).

٦- الاعتراف بحق الآخر في المواطنة الكاملة، بل والاستفادة منه في تطوير موارد المجتمع، وإثراء كافة أنشطته.

٧- تكوين اتجاهات نفسية مشتركة بين أفراد المجتمع، مما يساعد على تحقيق انتماء وولاء الفرد للمجتمع الذي يعيش فيه.

خامساً: التربية على مبدأ توحيد الأمة وائتلافها، وتحذيرها من الفتن والافتراق.

وحدة الأمة منهج رباني، وهدي نبوي؛ جاء به الإسلام، وأرساه قيماً، وسلوكاً، وعملاً، وعبادة في كافة نواحي الحياة؛ بين الأمة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾(سورة المؤمنون، آية ٥٢).

ففي الحج يتحد جميع المسلمين في أداء مناسك واحدة متفقة لا خلاف ولا تفرق فيها، فالجميع يطوفون ببيت واحد، ويسعون في مكان واحد، ويقفون جميعاً في صعيد واحد، ويتجهون إلى قبلة واحدة، ويتلون كتاباً واحداً، ويعبدون رباً واحداً لا إله غيره، ويقتدون بنبي واحد، وهذا من أعظم مقاصد الإسلام العظيمة، حيث توحيد كلمة المسلمين، وجمع شتات قلوبهم، ولم شملهم، ولهذا استفاضت نصوص الكتاب والسنة بأمر العباد بالاجتماع والائتلاف، ونهيهم عن الفرقة والاختلاف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(سورة آل عمران، آية ١٠٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (سورة الروم، آية ٣١ – ٣٢)، وجاء عن أبي موسى – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك أصابعه" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج١، رقم الحديث ٤٧٦، ص ١٨٢)، وقوله ﷺ: "يد الله مع الجماعة" (الترمذي، ١٣٩٥هـ، ج ٨، رقم الحديث ٢٣١٩، ص ٣٢٩).

ولما كان الحج يأتيه الناس من كل فج عميق، كان فرصة سانحة بأن يكون هذا الجمع العظيم تربية على توحيد الأمة، وتحذيرها من الفتن التي تفرقها وتمزقها، ومن ذلك تسويته ﷺ بين أفراد أمته، وعدم التمييز بينهم إلا بالتقوى، حيث قال ﷺ في خطبته وسط أيام التشريق فقال: " يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا

فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى" (ابن حنبل، ١٤٢١هـ، ج٣٨، رقم الحديث ٢٣٤٨٩، ص٤٧٤).

ومن تلك الشواهد على توحيد الأمة في حجته ﷺ:

أ- السمع والطاعة:

الأمر بالسمع والطاعة والنصيحة لولاة الأمر الذين يقيمون كتاب الله - عز وجل – ولزوم الجماعة والنصح للأئمة، حيث قال ﷺ: "إن أُمِّرَ عليكم عبد مجدع أسود، يقودكم بكتاب الله تعالى، فاسمعوا له وأطيعوا" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢٩٨، ص ٩٤٤)، والجدع هو: القطع من أصل العضو، ومع هذه النواقص فيه ، أمر ﷺ بطاعته كولي أمر ولو كان بهذه الصفات، ما دام يقود بكتاب الله – تعالى-. قال العلماء معناه: ما داموا متمسكين بالاسلام والدعاء إلى كتاب الله تعالى على أي حال كانوا في أنفسهم وأديانهم وأخلاقهم ولا يشق عليهم العصا بل إذا ظهرت منهم المنكرات وعظوا وذكروا (النووي،١٣٩٢هـ، ج٩، ص ص٤٦-٤٧).

ب- لزوم الجماعة، والنصيحة لولي الأمر:

وفي حجة الوداع وهو بالخيف من منى، أكد ﷺ على لزوم الجماعة التي ضدها الفرقة فقال:"ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم" (ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٣٠٥٦، ص١٠١٥)، ويؤكد هذا المعنى ما جاء عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يرضى لكم ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٣، رقم الحديث ١٧١٥، ص ١٣٤٠)، "فقد جمعت هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث ؛ إخلاص العمل لله ومناصحة أولي الأمر ولزوم جماعة المسلمين ، وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده

وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم بها مصالح الدنيا والآخرة" (ابن تيمية، ١٤١٦هـ، ج١، ص١٩)، وكذلك فإن هذه الخصال الثلاث "مما يستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والحقد وغيرهما من الرذائل" (السيوطي، ١٤٠٦هـ، ج١، ص ٢١).

وتخصيص القلب لأنه مكان الحب والافتراق والاجتماع، قال ابن القيم: "فالمخلص لله، إخلاصه يمنع غل قلبه ويخرجه ويزيله جملة لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه فلم يبق فيه موضع للغل والغش، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ (سورة يوسف، الآية٢٤" (ابن القيم،١٤١٩هـ، ج١، ص٧٦).

فإن مناصحة أئمة المسلمين منافية للغل والغش اللذين هما سبب الشحناء والبغضاء وتفكك الأمة، ولزوم جماعة المسلمين تطهر القلب من الغل والغش، فيحب ما يحب للمسلمين ويكره ما يكره لهم، وبهذا تتوحد الأمة، وبين ابن القيم قوله صلى الله ﷺ: "فإن دعوتهم تحيط من ورائهم" بيانا شافياً بليغاً إذ قال: "شبه دعوة المسلمين بالسور والسياج المحيط بهم، المانع من دخول عدوهم عليهم، فتلك الدعوة [دعوة الإسلام] وهم داخلونها لما كانت سوراً وسياجاً عليهم أخبر أن من لزم جماعة المسلمين أحاطت به تلك الدعوة، كما أحاطت بهم، فالدعوة تجمع شمل الأمة، وتلم شعثها، وتحيط بها، فمن دخل في جماعتها أحاطت به وشملته" (ابن القيم،١٤١٩هـ، ج١، ص٧٦).

ج- التحذير من اتباع الشيطان:

ومن الأخبار النبوية التي جاءت في حجته ﷺ تحذيره لأمته من الاستجابة لإغراءات الشيطان، وتهييجه بعضها على بعض، حيث قال ﷺ: "إن الشيطان قد أَيِسَ أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٤،

رقم الحديث ٢٨١٢، ص ٢١٦٦)، قال الإمام النووي: "وهذا الحديث معجزة من معجزات النبوة، فإن الشيطان أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب، فسعى بالتحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها" (النووي، ١٣٩٢هـ، ج١٧، ص١٥٦).

والتحريش من مداخل الشيطان على الصالحين، فعن سليمان بن صرد قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال – النبي صلى الله عليه و سلم –: إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان ،فقال: وهل بي جنون ؟" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٣، رقم الحديث ٣١٠٨، ص١١٩٥)، فجاء توجيه النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه للاستعاذة من الشيطان، لأن الغضب نزغة من نزغاته، فيجعله يخرج عن حال عقله، فيتكلم بالباطل ويُقبل على القبيح والمذموم من القول والفعل.

د- التحذير من الاقتتال:

وفي يوم النحر بمنى في حجة الوداع، نهى ﷺ عما يسبب الفرقة والاختلاف، ويؤدي إلى الفتنة في المجتمع المسلم، كالاقتتال، حيث قال ﷺ بعد أن أنصت الناس : " لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج١، رقم الحديث ١٢١، ص ٣٥)، قال القاضي عياض – رحمه الله –: "أنه فعلٌ كفعلِ الكفَّار" (النووي، ١٣٩٢هـ، ج٢، ص٥٥)، "وليس هذا بالكفر الناقل من ملة الإسلام، بل هو كفر دون كفر، وهو يدل على أنه من شعب الكفر الذميمة، وحذر الإسلام منه، تحقيقاً للوئام، وجمعاً للقلوب، وحفظاً للدماء أن تزهق بغير حق، وأن تراق بغير موجب"

(البدر، ١٤٢٨هـ، ص ص ١٥١-١٥٢) وقد قال ﷺ: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٦، رقم الحديث ٦٦٦٥، ص٢٥٩٢)، وهو من كفران النعمة، ولذا فإن هذا القتال هو شأن المنقسمين على أنفسهم أحزابا متنافرة، وفي أحد تلقى المسلمون درساً مؤلماً فقدوا فيه البطال، وعادوا منكسرين، مع أنّهم يملكون إيماناً باللهّ قوياً، ودفاعاً عن الحقّ متيناً، وهذين الأمرين يستوجبان لهم النصر، لكن لم يحصل لهم بسبب أنهم تنازعوا وانقسموا وعصوا أمر اللهّ ورسوله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(سورة آل عمران، آية ١٥٢) فالإسلام حريص على سلامة أمّته وحفظ كيانها، وهو لذلك يطفيء بقوّةٍ بوادر الخلاف والنّزاع، ويدعوا الأفراد كافّة أن يتكاتفوا على إخراج الأمّة من مهاوي الشقاق.

هـ- التحذير من دواعي الافتراق:

ومما تضمنته حجت الوداع في جانب التحذير من دواعي الافتراق هو الاستهانة بدماء الآخرين وأموالهم وأعراضهم، حيث قال ﷺ في خطبه الثلاث في عرفة ويوم النحر وأوسط أيام التشريق: "فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج١، رقم الحديث ١٦٥٢، ص٢٤)، فقد شدد ﷺ على حرمة سفك الدماء، وعلى حرمة غصب الأموال وسرقتها، سواء كانت أموالاً عامة أم أموالاً خاصة، لأن ذلك يفضي إلى الافتراق،

والشحناء، وقد قرَّر اللهَّ عز وجل ذلك في كتابه، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾(سورة النساء، آية ٢٩)، وإعلانه ﷺ عن حرمة الدماء، وحرمة الربا، ودعوته إلى ضرورة التراحم، وعدم هتك الأعراض بالغيبة، أو الزنا، كل ذلك حماية وصيانة للمسلمين، وتحذيراً لهم من كل ما يسبب افتراقهم.

و- التحذير من الظلم:

وكذلك حذر النبي ﷺمما يفترق عنده الناس، كالظلم وأخذ أموالهم بغير طيب نفس منهم، حيث قال ﷺ: "اسمعوا مني تعيشوا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، إنه لا يحل مال امرئ إلا بطيب نفس منه" (ابن حنبل، ١٤٢١هـ، ج٣٤، رقم الحديث ٢٠٦٩٥، ص٢٩٩)، وفي هذا يحذر رسولنا ﷺأيما تحذير من ظلم الناس، وأخذ حقوقهم بغير حق، ووعد من ظلم فقال النبي ﷺ: "الظلم ظلمات يوم القيامة" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ٢٣١٥، ص ٨٦٤).

ز- رفع الحرج عن الناس:

وبين المصطفى ﷺفي حجته رفع الحرج عن كل من سأله عن أعمال الحج بأن لا حرج عليه، وذلك حين سئل عن التقديم والتأخير في أعمال يوم النحر، فقال: "لا حرج لا حرج، إلا على رجل اقترض عرض رجل مسلم وهو ظالم، فذلك الذي حرج وهلك"(أبو داود، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ٢٠١٥، ص ٢١١)، فكرر لا حرج ولكن الحرج أين؟ إلا على رجلٍ مسلمٍ اقترض عرض رجلٍ مسلم وهو ظالم له، فذلك الذي حرج وهلك، وهو أن يَتكلف الإنسان ويُكلف نفسه الظلم و المشقة والإثم العظيم

بأذى المسلمين، بالغيبة، والنميمة، والبهتان، والظلم، والدفع، والضرب، وكل ما يؤذي المسلم من قول أو فعل، أو كل ما كان سبباً من أسباب فرقة المسلمين.

ح- التحذير من الدجال:

وحذر ﷺ في حجته ، من شر غائب منتظر، يَدْهم هذه الأمة، ويفتن الإنسانية كلها، ألا وهو الدجال، قال ﷺ: "ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم، فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم: إن ربكم ليس على ما يخفى عليكم ثلاثاً، إن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٥، رقم الحديث ٤٤٠٢، ص ١٧٦)، وقال رسول الله ﷺ: "ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه إنه أعور وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٣، رقم الحديث ٣١٦٠ ، ص ١٢١٥)، وحدث أبو هريرة - رضي الله عنه – أنه سمع النبي ﷺ يقول فى صلاته: "اللهم إنى أعوذ بك من فتنة القبر ومن فتنة الدجال ومن فتنة المحيا والممات ومن حر جهنم" (النسائي، ١٤٠٦هـ، ج١٧، رقم الحديث ٥٥٣٧، ص ٥٩).

الآثار التربوية لمبدأ التربية على توحيد الأمة وائتلافها، وتحذيرها من الفتن والافتراق.

١- الناس عند الله سواء في أي مكان، وعلى أي حال، وفوق أي مستوى، وأن القيمة الجوهرية للانسان عند الله هي قربه وبعده عن التقوى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(سورة الحجرات، آية ١٣).

٢- إزالة الفوارق والطبقية من المجتمع الإسلامي وتثبيت مبدأ المساواة، فلقد قام المجتمع الإسلامي الأول على المساواة ، والأخوة ، والتحام الصف الصادق، كي تتعلق

برب واحد، وتبرز فيها إنسانيتهم وحدها بلا عائق، وهذا ما لم يحصل قط لأي تجمع آخر على مدار التاريخ.

٣- اجتماع الكلمة ووحدة الصف لا يكون إلا على حق، وهدى، وصواب، كما كان "اجتماع أصحاب رسول الله ﷺ على خلافة الصديق حقاً وهدىً وصواباً" (ابن تيمية، ١٤١٦هـ، ج٨، ص٢٥٠).

٤- ترك الشقاق والتفرقة هو سبيل منهج الصالحين، أما التفرق والشقاق هو سلوك منهج الضالين والمنحرفين من الأمم السابقة أو البعيدة عن منهج الله ورسوله، ولهذا حذر الله منه بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(سورة آل عمران، آية ١٠٥).

٥- طهارة القلب من الغل والغش بمناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، والاجتماع عليهم فبهذا تأتلف القلوب إلى بعضها.

٦- الحذر من المعاصي متعدية الضرر، فمثلاً الظلم ضرره متعدي قال ابن رجب: "فظلم العباد شر مكتسب؛ لأن الحق فيه لآدمي مطبوع على الشح فلا يترك من حقه شيئاً؛ لا سيما مع شدة حاجته يوم القيامة، فإن الأم تفرح يومئذ إذا كان لها حق على ولدها لتأخذه منه" (ابن رجب،١٤١٧هـ، ص١٠٧).

٧- الفتنة ليست شراً محضاً، فقد تكون لتمحيص الحق وإبطال عمل المفسدين، ففتنة الدجال فيها بيان للحق، نقل الإمام النووي ـ رحمه الله ـ عن العلماء أنهم قالوا: "هذا من جملة فتنته امتحن الله تعالى به عباده ليحق الحق ويبطل الباطل ثم يفضحه ويظهر للناس عجزه" (النووي، ١٣٩٢هـ، ج١٨، ص ٦١).

سادسا: التربية على مبدأ الاتباع وتوحيد مصدر التلقي.

إن الإسلام هو "الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله(ابن عثيمين،١٤٢٤هـ، ص٧٧)،"ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فلا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه. روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. وهذا كلام جامع نافع" (ابن أبي العز،١٤٢٦هـ، ص٢٠١)، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (سورة النساء، آية ٦٥)، وأمر الله تعالى عباده باتباع نبيه ﷺ فقال عز وجل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (سورة الحشر،آية ٧)،"قال الشافعي - رحمه الله - : أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله : لم يحل له أن يدعها لقول أحد" (ابن القيم، ١٣٩٣هـ، ج٢، ص ٣٣٥).

والحج من أوضح عبادات الإسلام التي يتجلى فيها اتباع النبي ﷺ والتأسي به، فالقرآن الكريم أمر بالحج إجمالاً، وفصلته السنة النبوية تفصيلاً، وفي حجة الوداع ربّى النبي ﷺ أصحابه – رضي الله عنهم – على وجوب اتباعه، وغرس في نفوسهم ضرورة التأسي به والأخذ عنه، يقول جابر – رضي الله عنه – واصفاً حال الصحابة في ذلك: "ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص ٨٨٦)، فكان لتلك التربية نتائج عظيمة مباركة، منها على سبيل المثال:

١- حينما جاء عمر – رضي الله عنه –إلى الحجر الأسود فقبله، ثم قال "أما والله لقد علمت أنك حجر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢٧٠، صي٩٢٥)، وقال – رضي الله عنه – يوماً: "فيم الرملان اليوم والكشف عن المناكب، وقد أطأ [أي ثبته] الله الإسلام ونفى الكفر وأهله مع ذلك لا تدع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ" (أبو داود، ١٤١٩هـ، ج١، رقم الحديث ١٨٨٧، ص ٥٨١).

٢- حينما اختلف علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه – مع عثمان – رضي الله عنه – وهو خليفة المسلمين في شأن المتعة في الحج، "وكان عثمان قد نهى عن المتعة وأن يجمع الرجل بين الحج والعمرة فقال علي: لبيك بحجة وعمرة معا. فقال عثمان: أتفعلها وأنا أنهى عنها فقال علي: لم أكن لأدع سنة رسول الله ﷺ لأحد من الناس" (النسائي، ١٤٠٦هـ، ج٩، رقم الحديث ٢٧٣٥، ص١٤٥).

٣- وعُرِف عن ابن عمر شدته في اتباع سنة النبي ﷺ فكان يقول – رضي الله عنه – إذا أراد أن يستلم الحجر الأسود في ابتداء الطواف: "اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك وسنة نبيك ﷺ، ثم يستلمه" (الطبراني، ١٤١٥هـ، ج٦، رقم الحديث ٥٨٤٣، ص ٧٦)، حتى أنه رضي الله عنه من حرصه على الاتباع، "لم يترك تقبيل الحجر الأسود، واستلام الركن اليماني في شدة ولا رخاء منذ رأى رسول الله ﷺ يفعل ذلك" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٥٢٩، ص ٥٨٢)، وقال مجاهد عن ابن عمر: "ما رأيته زاحم على الحجر قط ولقد رأيته مرة زاحم حتى رثم أنفه وابتدر منخراه دماً" (البيهقي، ١٤٢٤هـ، ج٥، رقم الحديث ٩٢٦٧، ص١٣١)، "وسأل رجل ابن عمر – رضي الله عنهما – عن

استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله . قال: قلت أرأيت إن زُحمت أرأيت إن غُلبت؟ قال: اجعل أرأيت باليمن رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٥٣٣، ص٥٨٣)، "وجاء رجلٌ من أهل الشام يسأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج فقال عبد الله بن عمر: هى حلال. فقال الشامي: إن أباك قد نهى عنها. فقال عبد الله بن عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ أَأَمْرُ أبي نتبع أم أمر رسول الله ﷺ فقال الرجل: بل أمر رسول الله - ﷺ -، فقال: لقد صنعها رسول الله ﷺ" (الترمذي، ١٣٩٥هـ، ج٣، رقم الحديث ٨٣٢، ص ٤٠٤).

٤-وكان حبر الأمة، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – يطوف مع معاوية بالبيت، فجعل معاوية يستلم الأركان كلها، فقال له ابن عباس: " لم تستلم هذين الركنين؟[غير الحجر الأسود والركن اليماني] ولم يكن رسول الله ﷺ يستلمهما، فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجوراً، فقال ابن عباس: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (سورة الأحزاب، آية٢١)، فقال معاوية: صدقت" (ابن حنبل، ١٤٢١هـ، ج٣، رقم الحديث ١٨٧٧، ص ص ٣٦٩-٣٧٠)، وكان - رضي الله عنه – يرى جواز المتعة في الحج، فيقال له: إن أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك، فيقول ابن عباس: "هذا الذي أهلككم والله ما أرى إلا سيعذبكم، إني أحدثكم عن النبي ﷺ وتجيئوني بأبي بكر وعمر" (الخطيب البغدادي،١٤٢١هـ، ج١، ص ٣٧٨).

وأما شواهد التربية في حجة الوداع فكثيرة منها:

أ- تأكيده للتأسي به:

ومن مظاهر التربية على الاتباع، تأكيده ﷺ أكثر من مرة للحجيج بالتأسي به، محفزا لهم بذكره الاحتمالية لأن تكون حجته تلك آخر حجة له، إذ قال ﷺ – مراراً- : "لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه"(مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢٩٧، ص ٩٤٣)، "هذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج وهو نحو قوله ﷺ في الصلاة صلوا كما رأيتموني أصلي" (النووي،١٣٩٢هـ، ج٩، ص٤٥)، فهذان الحديثان يدلان على أن الأصل في العبادات هو التوقيف على رسول الله ﷺ فلا يثبت شيء من العبادات إلا بدليل من الشرع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وجماع الدين أصلان أن لا يعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع" (ابن تيمية، ١٤٢٦هـ، ص ص ١٧٠-١٧١)، إذا فيتقرر في هذا الأصل لزوم الاتباع عن مصدر المشرع؛ وهو النبي ﷺ.

ويؤكد شيخ الاسلام ابن تيمية قاعدة عظيمة في - باب الصلاة من الفتاوى - "أنّ أمر النبي ﷺ أوكد من فعله، فإن فعله قد يكون مختصًا به، وقد يكون مستحبًا، وأما أمره لنا فهو من دين الله الذي أمرنا به، ومن أفعاله ما قد علم أنه أمرنا أن نفعل مثله كقوله ﷺ: صلوا كما رأيتموني أصلي، وقوله ﷺ: لما صلى بهم على المنبر : إنما فعلت هذا لتأتموا بي، ولتعلموا صلاتي، وقوله ﷺ لما حج: خذوا عني مناسككم ". (ابن تيمية، ١٤١٦هـ، ص٦٤).

ب- الحث على التمسك بالقرآن والسنة:

ومن مظاهر التربية على الاتباع في حجة الوداع، حثه ﷺ الناس في خطبته يوم عرفة على الاعتصام بالتنزيل والتمسك به، لأن ذلك طريق الوقاية من الزيغ والضلال، حيث قال ﷺ: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص٨٩٠)، وجاء في رواية التأكيد على الاعتصام بالسنة النبوية فقال ﷺ :" وسنة نبيه" (ابن هشام، ١٤٢٧هـ، ج ٦،ص ١٠) فالتمسك بهذين الأصلين تمسك بالشريعة الغراء، فالقرآن يجمل، والسنة تفصل، فهما متلازمان لا ينفكان عن بعضهما. وحتى لو لم يذكر الاعتصام بالسنة واقتصر على الكتاب، فإنه مشتمل على العمل بالسنة لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾(سورة النساء،آية٥٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ ﴾(سورة الحشر، آية ٧)، فيلزم من العمل بالكتاب العمل بالسنة" (العظيم آبادي، ١٤١٩هـ، ج٥، ص٢٦٣).

ج- التحذير من اتباع الأهواء:

ومن مظاهر التربية على الاتباع وتوحيد مصدر التلقي في حجة الوداع، تحذيره ﷺ من اتباع الأهواء، والابتداع في الدين، إذ قال عليه - الصلاة والسلام - وهو واقف على ناقته بعرفات: "ألا وإني فرطكم على الحوض، وأكاثر بكم الأمم، فلا تسودوا وجهي، ألا وإني مستنقذ أناسا، ومستنقذ مني أناس، فأقول: يا رب أصيحابي؟ فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك " (ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٣٠٥٧، ص ١٠١٦)، يقول السيوطي في شرح هذا الحديث: " [أني فرطكم] أي متقدمكم الذي يهيئ لكم ما تحتاجون إليه، والاستنقاذ هو التمييز والتخليص عما وقع فيه أي: أني طالب نجاة

أناس بشفاعتي لتخليصهم، ومستنقذ مني أناس أي: وهم يخلصون ويباعدون مني ويحكم بهم الى النار، وهذا إشارة الى من ارتد من العرب في خلافة الصديق رضي الله عنه" (السيوطي، ١٤٠٦هـ، ص٢١٩)، ويدل هذا الحديث على أن أناساً سوف يتركون اتباع المصطفى ويبدلون في الدين وهم المبعدون يوم القيامة، فيقول النبي ﷺ "سحقاً سحقاً لمن غير بعدي " (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٥، رقم الحديث ٦٢١٢، ص ٢٤٠٦)"ولهذا اتفق شراح الحديث من أهل السنة، على أن الصحابة غير معنيين بهذه الأحاديث وأنها لا توجب قدحاً فيهم." (الرحيلي، ١٤١٩هـ، ص٥٠). وفي قول المصطفى ﷺ: "لا تدري ما أحدثوا بعدك، "إشارة إلى أن هناك علامة يتميز بها عصاة هذه الأمة. (الشيخ، ١٤٢١هـ، ج٣، ص٩٦٠)، المخالفين للاتباع، كذلك للتحذير الشديد من مخالفة أمر النبي الكريم، وتحفيزاً لهم على اتباعه وتوحيد مصدر التلقي، أي الوحيين الكتاب والسنة.

د- التحذير من الغلو:

ولأهمية التربية على الاتباع وتوحيد مصدر التلقي، قام النبي ﷺ في حجة الوداع بالتدريب العملي لأصحابه – رضوان الله عليهم – على فعل النسك، وتحذيره إياهم من الغلو فيه، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما – "قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات، هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول، أمثال هؤلاء، فارموا، ثم قال: يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"(ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٣٠٢٩، ص ١٠٠٨)، فتحذيره العملي يدل على أهمية الاتباع للسنة، وحذر وشدد من

الغلو في الدين على القدر المشروع، يقول ابن القيم: "وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه إما بالقدر وإما بالشرع فالتشديد بالشرع : كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل فيلزمه الوفاء به وبالقدر كفعل أهل الوسواس فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر حتى استحكم ذلك وصار صفة لازمة لهم" (ابن القيم،١٣٩٥هـ، ج١، ص١٣٢)، وأخبر النبي ﷺ أن الغلو أيضاً يهلك صاحبه فقال: "هلك المتنطعون قالها ثلاثاً" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٦٧٠، ص ٢٠٥٥) قال النووي: "هلك المتنطعون، [أي] المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم" (النووي،١٣٩٢هـ، ج١٦، ص ٢٢٠).

هـ- إرداف بعض الصحابة لينقلوا عنه أدق التفاصيل:

ومما يدل على التربية بالاتباع وتوحيد مصدر التلقي في حجة الوداع، إردافه ﷺ في تنقله بين المشاعر لِحِبِّه أسامة بن زيد، وابن عمه الفضل بن العباس – رضي الله عنهم – ؛ ليتأسوا به، ويأخذوا عنه، وينقلوا للناس ما يرون من حاله، ولذا قال الناس عن أسامة بن زيد لما أردفه رسول ﷺ بين عرفة وجَمْع: "سيخبرنا صاحبنا بما صنع، فقال أسامة: لما دفع من عرفة، فوقف كف رأس راحلته حتى أصاب رأسها واسطة الرحل، أو كاد يصيبه، يشير إلى الناس بيده: السكينة السكينة السكينة، حتى أتى جمعاً، وقالوا عن الفضل حين أردفه رسول الله ﷺ بين مزدلفة ومنى: قال: يخبرنا صاحبنا بما صنع رسول الله ﷺ فقال الفضل: لم يزل يسير سيرا لينا كسيره بالأمس، حتى أتى على وادي محسر فدفع فيه حتى استوت به الأرض" (ابن حنبل، ١٤٢١هـ، ج٣٦، رقم الحديث ٢١٨١٢، ص١٤٠)، وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للمسلم أن يتحرى السُّنة وهدي رسول الله ﷺ وأن لا يزيد في العبادات ، وأن لا يتنطع فيها وأن لا يبالغ ؛ لأنه لا خير إلا في اتباعه-عليه الصلاة والسلام- والشر كل الشر في الزيادة على هديه ، ومجاوزته والغلو في الدين.

و- إلزامهم بالحل لمن لم يسق الهدي:

ومن أعظم مواقفه التربوية في تربية أصحابه – رضي الله عنهم – على الاتباع، وتوحيد المصدر في التلقي: إلزامه ﷺ لمن لم يسق الهدي منهم وهم الأكثر بالحل من الإحرام فقد خرج إلى أصحابه فقال: «من لم يكن معه منكم هدي فأحب أن يجعلها عمرة، فليفعل، ومن كان معه هدي، فلا" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١١، ص ٨٧٥)، حتى أن بعضهم قال: "فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المني" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢ رقم الحديث ١٢١٦، ص ٨٨٣)، "ووجه ذلك: أن النبي ﷺ خَيَّر الناس وأباح لهم لمن لم يسق الهدي منهم الحِل من الإحرام وإتيان النساء" (البعداني،١٤٢٣هـ، ط٢، ص١٢٤)، قال ابن حجر – رحمه الله –: "وفي قول عمر هذا: التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يُكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم تُعلم الحكمة فيه"، بخلاف أناس ضلوا فقدموا أهوائهم وأفكارهم وعقولهم، وبعضهم قدم رغباته ونزواته وشهواته، وآخرون توقفوا عن امتثال أوامر الله ونواهيه الثابته بالأدلة الصريحة الصحيحة حتى تتضح له العلة أو تستبان له الحكمة.

قال ابن القيم: " أمر كل من لم يكن معه هدى منهم أن يفسخ حجه إلى عمرة، وفي قوله ﷺ : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ولجعلتها عمرة" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٥٦٨ ، ص ٥٩٤)، وكان هذا أمر حتم بالوحى، فإنهم لما توقفوا فيه قال: انظروا الذى آمركم به فافعلوه" (ابن القيم، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص ١٥٧).

الآثار التربوية لمبدأ التربية على الاتباع وتوحيد مصدر التلقي:

١- اجتماع القلوب والحرص على التآلف واتباع سنة المصطفى ﷺ حيث حرصهم ضمناً على ذلك فقال ﷺ: "لعلي لا أحج بعد حجتي هذه"، "ففيه إشارة إلى توديعهم

وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه وانتهاز الفرصة من ملازمته وتعلم أمور الدين" (النووي، ١٣٩٢هـ، ج٩، ص٤٥).

٢- وحدة الصف واجتماع الكلمة من أعظم أسباب السعادة، الاعتصام بكتاب الله، وسنة النبي ﷺ، وإن تركهما من أعظم أسباب الشقاوة في الدنيا والآخرة.

٣- كثرة التأمل والتدبر والتفكر في كتاب الله "تزيد العبد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (سورة ص، آية ٢٩)وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(سورة محمد، آية٢٤" (السعدي،١٤٢٠هـ، ص ١٨٩).

٤- من ثمرات الإيمان والاتباع والمحبة والتعظيم للنبي ﷺ ورود حوضه يوم القيامة والشرب من يده الكريمة شربة لا يظمأ بعدها ابداً، قال النبي ﷺ: "إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٥، رقم الحديث ٦٢١٢، ص ٢٤٠٦).

٥-التدريب العملي على الاتباع أكبر وقعاً في النفوس، وأكثر تأثيراً، حينما رفض الصحابة أن يحلقوا رؤسهم ويذبحوا الهدى تحللاً من الإحرام في صلح الحديبية، أشارت عليه أم سلمة – رضي الله عنها - بقولها: "يانبي الله أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك،

نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل غماً" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ٢٥٨١، ص ٩٧٤).

الفصل الثالث:

القيم التربوية المستنبطة من حجة الوداع

وفيه خمسة مباحث:

أولاً: قيمة الوسطية:

ثانياً: قيمة الزهد:

ثالثاً: قيمة التواضع:

رابعاً: قيمة الرحمة:

خامساً: قيمة الإحسان:

الفصل الثالث:

القيم التربوية المستنبطة من حجة الوداع

أولاً: التربية على قيمة الوسطية:

تمثل الوسطية فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي لا تعني الغلو الظالم ولا التطرف الباطل، بل هي الحق بين باطلين والاعتدال بين تطرفين، أي هي الموقف العادل الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال والتوازن.

ولقد تميز دين الإسلام عن غيره من الأديان بأنه دين وسط واعتدال، فلا إفراط ولا تفريط، بل قامت الشرعية كلها بفقهيها الأكبر والأصغر على مبدأ التوسط والاعتدال. وهذه الوسطية سمة بارزة وواضحة في جميع العبادات التي وردت في الشريعة؛ ولو تتبعها المستقرئ لاستبانت له من أول وهلة دون أدنى مشقة.

ولقد تعدد النصوص الدينية الدالة على قيمة الوسطية، وأهمية التوازن والاعتدال بين كافة رغبات الدنيا ومطالب الآخرة، سواء أكان تقرير تلك النصوص للوسطية بصفة العمومية، أو كان في أمر من أمور العقيدة أو العبادات أو المعاملات بكافة مناحيها وجوانبها.

ومن أمثلة النصوص الدالة على ما سبق قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة القصص، آية ٧٧)

ومن الوسطية والتوازن والاعتدال، أن الشريعة نوعت في أنواع المناسك؛ فوجد في الحج نسك الإفراد، ونسك القران، ونسك التمتع، ولم تلزم الشريعة الإحرام بواحد

منها؛ وإنما حصل خلاف بين أهل العلم أي هذه الأنساك الثلاثة أفضل؟ والاتفاق حاصل بأن من أتى بواحد من هذه الأنساك فحجه صحيح وتام ومبرء للذمة الشرعية.

وللوسطية والاعتدال شواهد في حجة الوداع منها:

أ- حجم حصى الرمي:

ومن مظاهر الوسطية كذلك ما رواه ابن عباس قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: الْقُطْ لي حصى، فلقطت له سبع حصيات، هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول، أمثال هؤلاء، فارموا، ثم قال: يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"(ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٣٠٢٩، ص ١٠٠٨).

ب- الاعتدال والتوازن بين طاعة الله وحقوق الجسد:

وفي حجة الوداع أيضاً برزت التوجيهات النبوية، والأفعال المحمدية الدالة على التوسط والاعتدال في كافة الحقوق والواجبات، وكراهية الإفراط والتفريط فيها، ومن ذلك:

١- اعتداله وتوازنه بين طاعته لربه، وكثرة دعائه له - جل وعلا-، وبين تعليمه لأمته وقيادتها، ورعايته لزوجاته، وتلمس حاجاتهن، فلم يشغله الأول عن الثاني، وعلى سبيل المثال ما يدل على قربه من ربه ودعائه له في حجة الوداع، ما رواه ابن - عمر رضي الله عنهما -: "أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات، يكبر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم حتى يسهل، فيقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً، ويدعو ويرفع يديه، ثم يرمي الوسطى، ثم يأخذ ذات الشمال فيستهل، ويقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً، ويدعو ويرفع يديه، ويقوم طويلا، ثم يرمي جمرة ذات العقبة من بطن الوادي، ولا يقف عندها،

ثم ينصرف"(البخاري، ١٤٢٢هـ ، ج٢، رقم الحديث ١٧٥١، ص١٧٨)، وما يدل على الثاني على سبيل المثال، ما روته عائشة – رضي الله عنها –، إذ قالت: "خرجنا مع النبي ﷺ لا نذكر إلا الحج، فلما جئنا سرف طمثت، فدخل علي النبي ﷺ وأنا أبكي، فقال: ما يبكيك؟ قلت: لوددت والله أني لم أحج العام، قال: لعلك نفست؟ قلت: نعم، قال: فإن ذلك شيء كتبه الله على بنات آدم، فافعلي ما يفعل الحاج، غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج١، رقم الحديث ٣٠٥، ص٦٨).

٢- وكذلك برز في حجته ﷺ التوازن والاعتدال والوسطية بين حقوق روحه وجسده؛ إذ في تلك الأجواء الإيمانية، والنفحات الروحانية الإلهية، يقع الكثير من الناس في التفريط بحق الجسد والإفراط بحق الروح، ولكنه ﷺ اهتم بذلك وألقاه عنايته فوازن بين راحة جسده، ومتطلبات روحه الدينية، إذ صعد يوم التروية إلى منى ليقرب من عرفة، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: "صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم التروية والفجر يوم عرفة بمنى"(أبو داود، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٩١١، ص١٨٨).

ونام ليلة عرفة ومزدلفة، وأفطر يوم عرفة ، كما جاء في صحيح البخاري "إنه بُعث إلى النبي ﷺ بشراب فشربه يوم عرفة" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٦٥٨، ص١٦١)، واستظل فيه بقبة من شعر ضُربت له قبل، كما عند جابر – رضي الله عنه – في حديثه الطويل، "وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص٨٨٩).

وترك ليلة جَمْع صلاة النافلة قبل الصلاتين وإثرهما، ونام تلك الليلة حتى أصبح دون أن يحييها، كما عند ابن عمر رضي الله عنهما قال: "جمع النبي ﷺ بين المغرب والعشاء بجمع كل واحدة منهما بإقامة، ولم يسبح بينهما، ولا على إثر كل واحدة منهما"(البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٦٧٣، ص١٦٤)، قال ابن القيم: "ثم نام حتى أصبح،

ولم يحي تلك الليلة، ولا صح عنه في إحياء ليلتي العيدين شيء." (ابن القيم،١٤٢٥هـ، ج، ص ٢٢٨).

وركب في تنقلاته بين المشاعر، كما في حديث جابر الطويل "ثم ركب رسول الله ﷺ، حتى أتى الموقف، وكذلك ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا، فدفع قبل أن تطلع الشمس" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، ١٢١٨، ص ص٨٩٠-٨٩١)، كذلك كان الحال أثناء قيامه ببعض أعمال الحج كالطواف والسعي ورمي جمرة العقبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير، يستلم الركن بمحجن" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٦٠٧، ص١٥١).

فكلُّ ما مر من الأحاديث السابقة في حجة الوداع، والمتضمنة التوازن والاعتدال بين حق الروح والجسد، يظهر جلياً عنايته براحة جسده، فيوم التروية كان يوم راحة لما ما كان قبله من السفر وأداء العمرة، ويوم تهيئة لما سوف يستقبله من أعظم يوم طلعت عليه الشمس – يوم عرفة – فاستعد وهيأ الجسد والنفس لذلك اليوم، فصلى جميع الصلوات بمنى حتى فجر يوم عرفة، ثم توجه بروح مستعدة، ونفسٍ متهيئة، وجسد نشيط غير متعب ولا مرهق، لذلك اليوم العظيم، فابتهل وأكثر الدعاء، وناجى ربه أي مناجاة، بل إنه ﷺ اتخذ من يخدمه ويقوم بأمره، ونحو ذلك من الأمور التي ترفق بالجسد، وتمكنه من التقوي على فعل المقصود الأعظم هناك، من الدعاء والمناجاة، وأداء النسك بحضور قلب وإعمال فكر، وخشوع واطمئنان، جاء عن أم الحصين – رضي الله عنها- أنها قالت:"حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فرأيته حين رمى جمرة العقبة، وانصرف وهو على راحلته، ومعه بلال وأسامة أحدهما يقود به راحلته، والآخر رافع ثوبه على رأس رسول الله ﷺ من الشمس" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢٩٨، ص٩٤٤).

الآثار التربوية لقيمة الوسطية:

١- التوفيق بين حق الروح ومطالب الحياة، قال تعالى:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(سورة الجمعة، آية ١٠).

٢- ترتيب الوقت بين الحقوق و الواجبات، قال الرسول ﷺ" إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٨٦٧، ص ٦٩٤).

٣-المحافظة على استمرار العمل، فعن عائشة – رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: "وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٥، رقم الحديث ٦٠٩٩ ، ص٢٣٧٣).

٤- الطمأنينة والتوازن بين الحقوق والواجبات، في كل المجالات الروحية والمادية.

٥- يسهم في عمارة الأرض، ويقيم الموازين القسط بلا طغيان ولا إخسار، ويحقق التفاعل والحوار والانفتاح الحضاري المنضبط مع الآخرين دون تشدد أو تعصب.

٦- دعوة الإسلام إلى الالتزام بالوسطية وسيلة لتحقيق خيرية الأمة الإسلامية، واستعادة الصورة الحضارية المشرقة للمسلمين، إذ من خلال الوسطيةيتقي الإنسان والمجتمع شر الوقوع في الانحرافات المادية والمعنوية، ومن ثم يحرص الإسلام في عنايته بالوسطية على تكريم الإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره في جوانب الاعتدال والتسامح.

ثانياً: قيمة الزهد:

يدل الزهد لغة: "على قلة الشيء، والزهيد الشيء القليل، وهو مزهد قليل المال"(ابن فارس، ١٤٢٠هـ، ج٣، ص ٣٠)، وقال صاحب المحكم والمحيط الأعظم: "الزُّهْدُ في الدين خاصة : ضد الحرص على الدنيا، والزَّهادةُ في الأشياء كلها : ضد الرغبة"(المرسي،١٤٢١هـ، ج٤، ص ٢٢٨).

وقال ابن الجلاء: "الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها" (ابن القيم، ١٣٩٣هـ، ج٢، ص١١)، ويروي ابن القيم عن شيخه – شيخ الإسلام ابن تيمية – أنه قال في الزهد: "هو ترك مالا ينفع في الآخرة" (ابن القيم، ١٣٩٣هـ، ج٢، ص١٠)، وقال بعض الحكماء: "الزهد ترك ما يشغلك عن الله وقال بعضهم الزهد ترك الشهوات" (ابن درهم ١٤٠٨هـ، ص٣٢)، فتعددت عبارات السلف في تعريف الزهد في الدنيا وكلها تدور على عدم الرغبة فيها وخلو القلب من التعلق بها.

قال الإمام أحمد بن حنبل : الزهد على ثلاثة أوجه الأول : ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني : ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث : ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين" (ابن القيم، ١٣٩٣هـ، ج٢، ص ١٢)

مظاهر الزهد في حجة الوداع:

وأما زهده ﷺ في حجة الوداع، فهو كثير جداً، ومن شواهدها:

أ- حجه على رحل رثٍّ وقطيفة بسيطة:

أنه حج ﷺ على رحل رثٍّ وقطيفة لا تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، فعن أنس بن مالك، قال: "حج النبي ﷺ على رحل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي"

(ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٢٨٩٠، ص٩٦٥)، قال ابن القيم: "وكان حجه على رحل، لا في محمل، ولا هودج ولا عمارية" (ابن القيم،١٤١٥هـ، ج٢، ص١٥٠)،وحدث ابن إسحاق بن سعيد عن أبيه، قال: صدرت مع ابن عمر فمرت رفقة يمانية، ورِحَالُهُم الأُدُم، وخُطُم إبلهم الخُزُم، فقال: "من أحب أن ينظر إلى أشبه رفقة وردت الحج العام برسول الله ﷺ وأصحابه إذ قدموا في حجة الوداع، فلينظر إلى هذه الرفقة" (ابن حنبل،١٤٢١هـ، ج١٠، رقم الحديث ٦٠١٦، ص٢١٣)، ويعني هذا أن راحلته ﷺ كانت زاملته التي يحمل عليها متاعه وزاده، ولم تكن له ناقة أخرى خاصة بذلك، كما جاء في حديث ثمامة – رضي الله عنه – قال: "حج أنس على رحل ولم يكن شحيحاً، وحدَّث أن رسول الله ﷺ حج على رحل وكانت زاملته" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٥١٧، ص١٣٣).

ب- الدنيا في يده لا في قلبه:

ومن زهده ﷺ أن كانت الدنيا في يده لا في قلبه، فعن أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ يوم التروية نحر سبع بدنات بيده قياماً" (البخاري، ١٤٢٢هـ، رقم الحديث ١٥٥١، ج٢، ص١٣٩)، فمن تعلق قلبه بالدنيا، لن يبذل مثل هذا.

ومن زهد الرسول ﷺ في حجة الوداع، إنه لا ينظر إلى الدنيا بشيء، لا مالها ولا متاعها، إذ قرَّب مائة بدنة يوم النحر، فعن علي – رضي الله عنه – قال: "أهدى النبي ﷺ مائة بدنة، فأمرني بلحومها، فقسمتها ثم أمرني بجلالها فقسمتها، ثم بجلودها فقسمتها" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٧١٨، ص١٧٢). ومن تعلق قلبه بالدنيا لا يخرج شيئاً فوق الحد الواجب.

ج- كثرة تصدقه وإطعامه للناس:

وفي حجة الوداع كثر تصدقه ﷺ وإطعامه للناس، وقسمته للصدقة بينهم، إذ عمد يوم النحر إلى جُزَيْعَة من الغنم فقسمها" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٦٧٩، ص ١٣٠٦)، وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار، قال: أخبرني رجلان: أنهما أتيا النبي ﷺ في حجة الوداع، وهو يقسم الصدقة، فسألاه منها، فرفع فينا البصر وخفضه، فرآنا جلدين، فقال: "إن شئتما أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني، ولا لقوي مكتسب" (أبو داود، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٦٣٣، ص١١٨).

د- كان طعامه زهيداً:

ومن زهده في الدنيا أن طعامه زهيداً ﷺ إذ حين ذبح أضحيته في حجة الوداع قال لثوبان: "أصلح هذا اللحم، قال: فأصلحته فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٣، رقم الحديث ١٩٧٥، ص١٥٦٣).

هـ- زهد في مال الدنيا:

وفي زهده ﷺ أمر عجيب، إذ تعرض عليه الدنيا فيزهد بها، فقد قال المصطفى -صلوات ربي وسلامه عليه-: "عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت: لا يا رب ولكن أشبع يوماً، وأجوع يوماً، أو قال: ثلاثاً أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك" (الترمذي،١٣٩٥هـ، ج٩، رقم الحديث ٢٥٢٠، ص١٥٤).

الآثار التربوية لقيمة التربية على الزهد:

١- تربية المسلم على الزهد في الدنيا راحة للقلب والبدن والنفس، فبالزهد يخرج حب الدنيا من القلب بدخول حب الآخرة فيه، والعمل بالزهد يقتضي إخراج المحبوب من

اليد من أجل نيل ما عند الله، ولاشك أن الرضا باليسير يقتضي مجاهدة للنفس على الإيمان بالله فيما عنده سبحانه وتعالى .

٢- تربية المسلم على أن زاد الدنيا لا يكون بالإسراف، والاسترخاء، والترف، بل بالخشونة، والحزم، والتقشف، فإن ذلك له دور كبير في علاج الإسراف، ومجاهدة النفس، والقدرة على اجتياز وتخطي المعوقات والعقبات.

٣- الزهد يشعر الإنسان بأن الدنيا سريعة زوالها وفنائها ونقصها ، وأن المزاحمة عليها تسبب الغصص والنغص والأنكاد، قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –" إنما أخشى عليكم اثنين طول الأمل واتباع الهوى فإن طول الأمل ينسي الآخرة وإن اتباع الهوى يصد عن الحق وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل" (ابن المبارك، د.ت،ج ١، ص ٨٦).

٤- يدعو الزهد إلى إيثار المصالح الدينية على المصالح الدنيوية، وهذا مطلب عظيم تعلق القلوب بربها على الدوام، فيقبل على البذل والإنفاق وكثرة الصدقات.

٥- الزهد يزهد أصحابه بمجالس أهل الدنيا والاشتغال والاقبال على مجالس الآخرة مثل مجالس العلماء والعباد، ومجالس والقرآن وحلق الذكر.

الثالث: قيمة التواضع:

التواضع: قيمة تناقض الكبر والتعالي، وتتمثل في عدم الترفع على الناس، أو الافتخار عليهم بالمال أو الجاه أو النسب، بل يشعر الإنسان أنه وجميع أفراد المجتمع متساوون، ولا تمايز بينهم إلا بالتقوى، فينال محبة الناس ويحقق الانسجام في مجتمعه، ويفوز برضا الله – عز وجل – وينال الدرجة الرفيعة عنده، كما جاء في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٥٨٨، ص٢٠٠١)، وقال الجنيد بن محمد عن التواضع ، "هو خفض الجناح ولين الجانب" (ابن القيم، ١٣٩٣هـ، ج٢، ص ٣٢٩).

ومنه ما أمر الله – جل وعلا – به نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(سورة الشعراء، آية ٢١٥)، فامتثل النبي ﷺ أمر ربه الرحيم، فبلغ في التواضع منزلة عليا.

وفي هذا جاء عن عياض – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: "وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٨٧٥، ص ٢١٩٧).

تواضعه في حجة الوداع:

أ- تواضعه فيما يشرب فيه الناس:

لم يتميز رسول الله ﷺ في موسم الحج عن الناس بشيء خاص، وأعظم ما كان أنه ﷺ" جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس: يا فضل، اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال ﷺ: اسقني، قال العباس: يا رسول الله، إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال: اسقني، فشرب منه" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ١٦٣٥، ج٢، ص١٥٦)، وفي رواية أنهﷺقال حين قالوا: نأتيك به من البيت-: " لا حاجة لي فيه، اسقوني مما

يشرب منه الناس" (ابن حنبل،١٤٢١هـ، رقم الحديث ١٨١٤، ج٣، ص٣٤١)، "قال جماعة من أهل السير : كانت السقاية للعباس مكرمة ، يسقى الناس نبيذ التمر ، فأقرها النبي عليه السلام فى الإسلام" (ابن بطال، ١٤٢٣هـ، ج٤، ص٣١٣)، ففي هذا دليل على تواضعه – صلوات اللهَّ وسلامه عليه –، قال ابن حجر في الفتح: "وفيه تواضع النبي ﷺ ، وحرص أصحابه على الاقتداء به ، وكراهة التقذُّر والتكرُّه للمأكولات والمشروبات" (ابن حجر، ١٤١٨هـ، ج٣، ص٤٩٢).

ب- إردافه صغار الصحابة معه:

إردافه ﷺ لأسامة بن زيد و الفضل بن عباس– رضي الله عنهم – روى البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: "أن أسامة رضي الله عنه كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٤٦٩، ص ٥٥٩)، وهؤلاء ليسوا من كبار القوم، فأسامة ابن مولى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، والفضل – ر ضي الله عنه – من أصغر قرابته سناً ، فلم يختر النبي ﷺ أشراف القوم ووجهائهم ليردفهم على ناقته، بل اختار من صغار القوم في السن، واختار المولى يردفه من عرفة إلى مزدلفة؛ لأن الرسول ﷺ لا يعتني بمظاهر التعظيم ولا تهمه بل كان من عادته – عليه الصلاة والسلام – أن يكون في أخريات القوم يتفقدهم وينظر من يحتاج إلى أمر، وهذا يدل على تواضعه ﷺ .

ج- الاستماع إلى أفراد الناس:

ومن تواضعه في حجة الوداع، وقوفه ﷺ لامرأة من آحاد الناس، يستمع إليها، ويجيب عن سؤالها،روى مسلم في صحيحه عن بن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال:

"جاءته امرأة من خثعم تستفتيه ... قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال: نعم، وذلك في حجة الوداع" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٣٣٤، ص ٩٧٣).وهذا يدل على تواضعه - ﷺ -، فالكل يتمكن من الوصول إليه، وقضاء بغيته منه بيسر، إذ لم يكن ﷺ يتخذ حُجّاباً يصرفون الناس عنه، ويمنعونهم من مقابلته، والتحدث إليه.

د- لم يكن حرس وخدم في رمي الجمار:

وحينما رمى الجمرة ﷺ تجلى تواضعه، فكان بين الناس، فعن قدامة بن عبد الله قال : "رأيت رسول الله ﷺ يرمي جمرة العقبة يوم النحر على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك" (النسائي، ١٤٠٦هـ، ج٥، رقم الحديث ٣٠٦١ ، ص٢٧٠)، أي لا توسع له الطرق، ولا يُضرب الناس ولا يُطردون من أجله ﷺ، بل كان يمشي عليه - الصلاة والسلام - متواضعاً مع الماشين، لا يطرد الناس من حوله، ولا يضرب الناس من أجله، إنما يأتي وقوراً متواضعاً لله خاشعاً له، يرمي الجمرة كما يرميها الناس، منه يتعلمون، وبه يقتدون، ويلتمسون منه التواضع.

هـ- نحره الهدي بيده:

ومن تواضعه في حجة الوداع، عدم ترفعه ﷺ عن نحر هديه، إذ نحر منها بيده الشريفة ثلاثاً وستين بدنة، ففي حديث جابر الطويل قال:" فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده . وأعطى علياً فنحر ما غَبُر" (ابن ماجة، ١٤٢٠هـ، ج٢، رقم الحديث ٣٠٧٤، ص١٠٢٢).

الآثار التربوية لقيمة التواضع:

١- أنه سبب من أسباب الرفعة للمرء في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٥٨٨، ص٢٠٠١)..

٢- يربي المسلم على الأخلاق الفاضلة، ويدله عليها، وهو من أخلاق الأنبياء – صلوات ربي وسلامهم عليه - يتجلى ذلك في قصة موسى حينما رفع الحجر لأمرتين أبوهما شيخ كبير، وداود عليه السلام كان يأكل من كَسبِ يده، وزكريّا عليه السلام كان نجّارًا، فدل تواضعهم على سموأخلاقهم.

٣- سبب العدل والأُلفة والمحبّة في المجتمع، قال النبي ﷺ : "وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٨٧٥، ص٢١٩٧).

٤- أنه سلم الشَّرف وموجب الترقي إلى أعلى الشُّرف ،وهو أجل مزية وأفضل سجية وتاج الوقار وشعار الأطهار.

٥- يرفع المرء قدرا ويعظم له خطرا ويزيده نبلا، والتواضع يؤدي إلى الخضوع للحق والانقياد له.

٦- فيه مصلحة الدين والدنيا ويزيل الشحناء بين الناس، ويريح من تعب المباهاة والمفاخرة.

٧- ثمرة التواضع المحبة كما أن ثمرة القناعة الراحة وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته.

رابعاً: قيمة الرحمة:

الرحمة صفة من صفات رب العالمين، وصف سبحانه وتعالى بها نفسه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ (سورة الأنعام، آية ٥٤)، وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾(سورة الأعراف، آية ١٥٦)، وقد جعل - سبحانه وتعالى - إرسال نبينا محمد ﷺرحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(سورة الأنبياء، آية ١٠٧)، وروى مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أخبر عن نفسه حينما قيل له: ادع على المشركين، فقال: "قال إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٥٩٩، ص ٢٠٠٦)، فكان ﷺ رحيماً بالناس، عطوفاً عليهم، فعمت رحمته الجميع، حتى صار أرحم الناس بالناس، وبهذا وصفه أصحابه الكرام – رضوان الله عليهم – فأثمر ذلك، وأقبلوا عليه، وأحبوه – صلوات ربي وسلامه عليه -.

الرحمة في حجة الوداع:

أ- تفقد أحوالهم ومتابعة الأصلح لهم:

كانت رحمته بأصحابه ممتدة طيلة الحج، فمنذ انطلاقهم من الميقات، وهو يتفقد حالهم ويرى ما هو الأصلح لهم، ومن ذلك إلزامه ﷺ لمن لم يسق الهدي من أصحابه – رضي الله عنهم- بالحلّ الكامل من الإحرام، والذي يتضمن إتيان النساء، ولبس الثياب، ومس الطيب، رحمة بهم وتيسيراً عليهم، فعن جابر رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم- مهلين بالحج، معنا النساء والولدان فلما قدمنا مكة طفنا

بالبيت وبالصفا والمروة، فقال لنا رسول الله ﷺ: "من لم يكن معه هدي فليحلل، قلنا: أي الحل؟ قال: الحل كله، قال: فأتينا النساء، ولبسنا الثياب، ومسسنا الطيب، فلما كان يوم التروية أهللنا بالحج وكفانا الطواف الأول بين الصفا والمروة، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة منا في بدنة" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٣، ص٨٨١)، وهذا الإلزام منه ﷺ رحمة بهم.

ب- جمعه للصلوات في المشاعر تقديماً وتأخيراً:

ومن رحمته بأمته ﷺ في حجة الوداع، جمعه لصلاتي الظهر والعصر في عرفات، مع أنهم مستقرين في مكان واحد ومعلوم زمن الارتحال، وهو بعد غروب الشمس، كل ذلك حتى لا يشق عليهم، ويتفرغوا لأمر دينهم ودنياهم، قال جابر في حديثه الطويل حينما وصل به المقام إلى وصول النبي ﷺ عرفة: "فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص٨٨٦).

وكذلك تأخيره لصلاة المغرب حين أفاض إلى مزدلفة؛ حتى لا يشق على الناس بتعدد النزول، ويتمكن الحاج من إناخة بعيره، ووضع متاعه في الموضع الذي سيبيت فيه، وروى البخاري عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال : "دفع رسول الله ﷺ من عرفة فنزل الشعب فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء، فقلت له: الصلاة؟ فقال: الصلاة أمامك، فجاء المزدلفة فتوضأ فأسبغ، ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب، ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يصل بينهما" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٥٨٨، ص٦٠١)، والعلة في أنه لم يسبغ وضوءه كما قال أسامة بن زيد – رضي الله عنه :- "لأنه أعجله دفعه الحاج إلى المزدلفة ، فأراد أن يتوضأ وضوءاًيرفع به الحدث ،

لأنه كان ﷺ لا يبقى بغير طهارة" (ابن بطال، ١٤٢٣هـ، ج١، ص ٢٢٨)، لكنه حينما أتى مزدلفة، واستقر به المكان، وأراد الصلاة، "أسبغ الوضوء أخذا بالأفضل والأكمل على عادته فى سائر الأيام" (ابن بطال، ١٤٢٣هـ، ج١، ص ٢٢٨).

ج- رحمته بالنساء والضعفة في الإفاضة والرمي:

وفي حجة الوداع كان من رحمته ﷺ إذنه للضعفة والنساء - اللاتي لا تستطيع - في الإفاضة من مزدلفة قبل الناس ليلاً حين يغيب القمر، حتى يتمكنوا من أداء أعمال يوم النحر قبل الناس؛ تخفيفاً عليهم، ووقايةً لهم من الزحام، ورحمةً بهم فعن عائشة أنها قالت: استأذنت سودة رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة تدفع قبله وقبل حطمة الناس وكانت امرأة ثبطة، [والثبطة الثقيلة] قال: فأذن لها فخرجت قبل دفعه وحبسنا حتى أصبحنا فدفعنا بدفعه" (مسلم، ١٤١٥هـ،، ج٢، رقم الحديث ١٢٩٠، ص٩٣٩)، وعن عبيدالله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس يقول: بعثني - رسول الله ﷺ- في الثقل، أو قال في الضعفة من جمع بليل." (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢٩٣، ص٩٤١). ويستفاد من هذه الأحاديث في دفع الضعفة من الناس، "تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد" (ابن القيم، ١٤١٧هـ، ج٣، ص٣)، ومن تلك الأسباب في تغير الفتوى، تغير الأشخاص، فالمكلفين من الناس بينهم تفاوت، ولذا فإن الشريعة راعت هذا الجانب، رحمة بهم، وهو ما فعله ﷺ مع الضعفاء من الناس في حجة الوداع.

د- التيسير عليهم في التقديم والتأخير:

ومن رحمته ﷺ بالناس ، التيسير عليهم في التقديم والتأخير في أعمال يوم النحر، وقوله لكل من سأله ﷺ عن ذلك، افعل ولا حرج، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ "وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاءه رجل فقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح؟ فقال: اذبح ولا حرج، وجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي؟ قال: ارم ولا حرج، فما سئل النبي ﷺ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج" (البخاري،١٤٠٧، ج١، رقم الحديث ٨٣، ص٤٣).

وفي قوله ﷺ" افعل ولا حرج" فوائد:

- أن كلمة "ولا حرج" نكرة في سياق النفي؛ فيعم كل أنواع الحرج فلا إثم ولا فدية ولا أي شيء من أنواع الحرج؛ لأن المتقرر في الأصول أن النكرة في سياق النفي تعم.
- وتدل على أن أعمال الحج مبنية على التسامح والتساهل ، قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (سورة الحج، آية ٧٨).
- أن الترتيب بين أعمال يوم النحر هو الأفضل بأن يرمى، ثم يذبح، ثم يحلق، ثم يطوف طواف الإفاضة تأسياً برسول الله ﷺ، وأما من قدم ومن أخر وخرج عن هذا الترتيب لظرف ما، كنسيان مثلاً أو عدم معرفة أو أي عذر آخر فلا حرج عليه عملاً بقوله ﷺ في جواب من سألوه عن التقديم والتأخير، ولما في ذلك من التيسير والرحمة بالأمة.
- ومع أن النبي ﷺ قوله افعل ولا حرج هو إعفاء من التبعية بسبب الجهل إلا إن ذلك إشارة إلى الرحمة بهم فالجاهل عدو نفسه.

هـ- تخفيفه عن اصحاب الحاجات:

ومن رحمته ﷺ في حجة الوداع، تخفيفه على أصحاب الحاجات، كإذنه لابن عباس – رضي الله عنهما- بأن يبيت بمكة ليالي منى؛ من أجل سقاية الحاج، فعن ابن عمر – رضي الله عنه – أن العباس بن عبدالمطلب استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٣١٥، ص٩٥٣)، وإذنه لرعاة الإبل بأن يجمعوا رمي يومين بعد النحر، فيرمونه في أحدهما، فعن أبي البداح بن عاصم عن أبيه قال: رخص رسول الله ﷺ لرعاء الإبل في البيتوتة أن يرموا يوم النحر، ثم يجمعوا رمى يومين بعد النحر فيرمونه في أحدهما" (ابن ماجة،١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٣٠٣٧، ص١٠١٠)، قال ابن القيم:"وإذا كان النبي ﷺ قد رخص لأهل السقاية وللرعاء في البيتوتة؛ فمن له مال يخاف ضياعه، أو مريض يخاف من تخلفه عنه، أو كان مريضاً لا تمكنه البيتوتة سقطت عنه بتنبيه النص على هؤلاء والله أعلم"(ابن القيم،١٤٠٧هـ، ج٢، ص٢٩٠)، وهذا من رحمته بأمته حيث اسقط المبيت بمنى عن أصحاب الحاجات.

و- الإذن بالإنابة في الحج عن العاجز:

ومن مشاهد الرحمة في حجة الوداع، إذنه ﷺ بالإنابة عمّن وجب عليه الحج، وكان عاجزاً عجزاً لا يُرجى زواله، كالكبر والمرض المُزمن الذي لا يُرجى برؤه، فإنه يُنيب عنه من يقوم بأداء الفريضة، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن الفضل أن امرأة من خثعم قالت : "يا رسول الله إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره فقال النبي ﷺ: فحجي عنه" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢،

رقم الحديث ١٣٣٥، ص٩٧٤)، قال القرطبي: فأوجب النبي ﷺ الحج بطاعة ابنته إياه وبذلها من نفسها له بأن تحج عنه" (القرطبي،١٤٢٣هـ، ج٤، ص ١٥١)، ولم يوجبه على الرجل الطاعن في السن مع بقائه حياً يرزق، وذلك من التخفيف والرحمة بالناس.

ز- تركه لفعل الأفضل في بعض الأحيان:

ومن مشاهد رحمته ﷺ بالناس في حجة الوداع، تركه لفعل الأفضل في بعض الأحيان، رحمة ورفقاً بالخلق، كركوبه ﷺ في الطواف والسعي، واستلامه الحجر بمحجنٍ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما -: "أن رسول الله ﷺ طاف في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن، [والمحجن، عصا معوجة الرأس يتناول بها الراكب ما سقط له ويحول بطرفها بعيره ويحركه للمشي] "(مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢٧٢، ص٩٢٦)، "وتركه تقبيله واستلامه باليد، والمشي في الطواف والسعي، وذلك أفضل؛ لكي لا يصرف الناس عنه، ويُضْرَبُوا بين يديه" (البعداني ١٤٢٣هـ، ص١٤٣)، وذكر ابن بطال: "إن تركه ﷺ استلامه بيده إما لشكواه ، وإما كراهة أن يضيق على الطائفين ويزاحمهم ببعيره ، فيؤذيهم بذلك ، أو لهما جميعاً ، فركب راحلته وأشار بالمحجن" (ابن بطال، ١٤٢٣هـ، ج٤، ص ٢٨٩).

ح- رحمته بالمرضى وعيادتهم:

ومن مشاهد رحمته بالناس ﷺ في حجة الوداع، رحمته بالمرضى، وعيادتهم، وإرشادهم إلى ما هو الأنسب، والأخف في حقهم، والأيسر عليهم، فعن عامر بن سعد عن أبيه قال: "جاءنا رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتد بي زمن حجة الوداع، فقلت بلغ بي ما ترى وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت

بالشطر؟ قال: لا، قلت: الثلث؟ قال: الثلث كثير أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها؛ حتى ما تجعل في فيّ امرأتك" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٥، رقم الحديث ٥٣٤٤، ص٢١٤٥)، قال النووي في شرحه على مسلم: "العالة الفقراء، ويتكففون يسألون الناس في أكفهم، وقال القاضي رحمه الله روينا قوله إن تذر ورثتك، حث على صلة الأرحام، والإحسان إلى الأقارب، والشفقة على الورثة، وأن صلة القريب الأقرب والإحسان إليه أفضل من الأبعد" (النووي،١٣٩٢هـ، ج١١، ص ٧٧)، ولكن سعداً قال: يا رسول الله أخلف بعد أصحابى؟ أى تعود بالمسلمين إلى المدينة وأبقى أنا وحدى فى مكة؟ فواساه النبي ﷺ بما يطمئنه على هجرته ومكانته، وهذا من الرحمة به، فقال له المصطفى ﷺ: "إنك لن تخلف فتعمل عملا صالحا إلا ازددت به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج١، رقم الحديث ، ١٢٣٣، ص ٤٣٥)،والنبي ﷺ لا يعلم الغيوب، ربما مات سعد فى مرضه، فهو على أية حال من السابقين الأولين، وربما أطال الله بقاءه فى هذه الدنيا فافتتح ميادين للجهاد، تتسع بها رقعة الإسلام وتنكمش بها قوى الكفر! وذاك ما توقعه النبي لصاحبه وحققته الأقدار!. إن سعداً الذى كان يتوقع المنية فى مكة صحَّ من علته، ثم اختاره عمر بن الخطاب قائدا لجيوش المسلمين فى الجبهة الفارسية فنهض بالفتح، ودخل القادسية بجيش التوحيد وقضى على المجوسية إلى الأبد. (الغزالي، ١٤١٩هـ، ص١٠٣).

الآثار التربوية لقيمة الرحمة:

١- تطييب نفوس الناس، وتأليف قلوبهم من الرحمة، فقول النبي ﷺ: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معي الهدي لأحللت" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٥٦٨ ، ص ٥٩٤)، فليس الذي فعله مفضول بل فعله الأفضل، وفي قوله ﷺ أجران كما نص عليه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله - إذ قال: "الأول، أجر فعل الأفضل، والثاني، أجر ما اختار من موافقتهم على ما أمرهم به لولا سوق الهدي، وذلك لأن في سوق الهدي من تعظيم شعائر الله ما ليس في التمتع والتحلل والإحرام ، فيكون القارن الذي ساق الهدي أفضل من المتمتع الذي لم يسق الهدي"(الفوزان، ١٤٢٨هـ، ج٥ ، ص ١٥٨).

٢- تربية المسلم على قبول التذكرة من الأقل، فينظر الأعلى له بنظر الرحمة، لا بنظر التعالي والتكبر، ويرد عليه بأنسب ما يكون؛ لأن فعله ذكرى وقد يغفل الإنسان، أو ينسى، ويظهر ذلك حينما توضأ رسول الله ﷺحين دفعه لمزدلفة وقد حان وقت الصلاة، "فخشى أسامة أن ينسى الصلاة لما كان فيه من الشغل ، فأجابه ﷺ: إن للصلاة تلك الليلة موضعاً لا يتعدى إلا من ضرورة" (ابن بطال،١٤٢٣هـ، ج١، ص ص ٢٢٨-٢٢٩).

٤- مراعاة حال الناس، والترفق بهم، وتغيير الفتوى تيسيراً، أو تشديداً مالم تخالف النص.

٥- مراعاة الفروق الفردية بين الناس، وتلمس اليسر لهم حال الفتيا والسؤال، وأن يدرك اختلاف وتنوع مشاربهم ومذاهبهم، ولهذا راعى النبي ﷺ هذا الشي، "فما سئل عن شيء

قدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج" (البخاري،١٤٠٧، ج١، رقم الحديث ٨٣، ص٤٣).

خامساً: قيمة الإحسان:

الإحسان أعلى مراتب الدين، وهو إما إحسان العبد ما بينه وبين ربه، كما جاء في سؤال جبريل – عليه السلام – قال يا رسول الله: "ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٤، رقم الحديث ٤٤٩٩، ص١٧٩٣) وإما أن يكون الإحسان لما بين العبد وبين الناس، فنبي الرحمة ﷺ بلغ بالأمرين أعلاهما، ووصنع للأمة دروساً فيهما، والنفس المحسنة مجبولة على حب الإحسان، وتثمين صاحبه، والخضوع لمسديه، قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾(سورة فصلت، آية ٣٤).

ومن إحسانه إلى الناس في حجة الوداع صور كثيرة ومشاهد متنوعة، وفي جوانب متفرقة، منها:

أنه انتظر من تأخر في الخروج من بلده، وهو يريد أداء النسك معه، إذ مكث في ذي الحليفة يوماً كاملاً، بعد ما أعلن الحج للناس؛ حتى يدركه من يريد اللحاق به، فعن أنس – رضي الله عنه – قال: "صلى رسول الله ﷺ ونحن معه بالمدينة الظهر أربعاً، والعصر بذي الحليفة ركعتين ثم بات بها حتى أصبح ثم ركب حتى استوت به على البيداء" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٤٧٦، ص٥٦٢)، قال ابن القيم: "ولما عزم رسول الله ﷺ على الحج أعلم الناس أنه حاج، فتجهزوا للخروج معه وسمع ذلك من حول المدينة فقدموا يريدون الحج مع رسول الله ﷺ ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون ... وخرج من المدينة نهاراً بعد الظهر لست بقين من ذي القعدة بعد أن صلى الظهر بها أربعا وخطبهم قبل ذلك"(ابن القيم،١٤٠٧هـ، ج٢،

ص١٠٢)، ففي انتظاره للناس الذين أتوا كل فج عميق، قد حرصوا أن ينهلوا مباشرة منه ﷺ فهذه إحدى صور الإحسان بهم.

بل كان من إحسانه ﷺ أن أمر أحد أصحابه رضي الله عنهم أن يقسم غنماً عليهم كي يضحوا بها، فلما بقي منها عَتُود، وهو من الماعز، طلبه أحد الصحابة أن يضحي به فقال – عليه الصلاة والسلام – محسناً "ضح به "(مسلم، ١٤١٥هـ، ج٣، رقم الحديث ١٩٦٥، ص١٥٥٥).

ومن صور إحسانه ﷺ في حجة الوداع، أنه لا يرد أحداً سأله حتى في الأسئلة الخاصة، فيستجيب لهم ويطيب خواطرهم، ومنها على سبيل المثال ما جاء عن الحارث بن عمرو، أنه لقي رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فقلت: "بأبي أنت يا رسول الله، استغفر لي، قال: غفر الله لكم، قال: وهو على ناقته العضباء، قال: فاستدرت له من الشق الآخر، أرجو أن يخصني دون القوم، فقلت: استغفر لي، قال: " غفر الله لكم" (ابن حنبل،١٤٢١هـ، رقم الحديث ١٥٩٧٢، ج٢٥، ص٣٤٢).

الآثار التربوية لقيمة الإحسان:

١- من أهم وسائل نهضة المسلمين؛ لأن الإحسان يقتضي من المسلم إتقان العمل المنوط به إتقان من يعلم علم اليقين إن الله عز وجل ناظر إليه ومطلع على عمله، وبهذا الإتقان تنهض الأمم وترقى المجتمعات.

٢- تزكية للنفس وتطهيرٌ وتحريرٌ لها من شح النفس وبخلها، فأمرت بإعطاء الفقراء والمساكين حقهم من الزكوات ، وحثت على الإنفاق عليهم والإحسان إليهم، ووعدت على ذلك الأجر الجزيل ، وفي الحج يحتاج الناس إلى الزاد الذي به قيام

النفوس ، وفي هذا الموقف يأمر الله الحجاج أن يُخرِجوا من أموالهم وأزوادهم ما يطعمون به الفقير؛ من النسك الذي ذبحوه تقرباً إلى الله تعالى ، فقال تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾(سورة الحج، آية ٢٨).

٣- الاستفسار قبل المحاسبة، هذا من الإحسان للخلق، فإن الرجلين اللذين لم يصليا معهم في مسجد الخيف استجوبهم رسول الله ﷺ قبل أن يعاتبهم على فعلهم حتى يتثبت من أمرهم الذي أقدموا عليه،وهذا هدي أصحابه من بعده ، أي أنهم يستفسرون قبل أن يُعاتبوا أحداً.

٤- تربية الضمير على أن يستشعر أن الله تعالى يعلم ما يفعله من خير، ومطلع عليه ويجازي ويثيب؛ ليكون ذلك حافزاً له على الإكثار من الخير والاجتهاد فيه.

٥- يربي المسلم على عدم الانتصار لنفسه، ولذا جاء تفضيل الحسنة على السيئة، "إرشاداً من الله لرسوله وأمته بالتخلق بخلق الدفع بالحسنى" (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٢٤، ص٢٩١).

٦- يوصل المسلم لأعلى المراتب في الدنيا والآخرة، فالإحسان مع الله كمال التقوى، ومع المخلوقين هو النفع الديني والدنيوي لهم، فضلاً عن التأسي بالرسول ﷺفي ذلك حيث كان عطاءه بلا حدود، "يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة" [يعني الفقر] (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٣١٢، ص ١٨٠٦)، وقال رسول الله ﷺ: "لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا تمر علي ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء؛ إلا شيئاً أرصده لدين" [أحفظه وأعده لوفاء دين مستحق علي] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٥، رقم الحديث ٦٠٨٠ ، ص ٢٣٦٨)، وذلك لأن المصطفى

ﷺترك علائق الدنيا، وزهد بها، وتعلق قلبه بالله والدار والآخرة، حتى أن الدنيا لا تسوي لديه شيئاً حتى يحرص عليها.

الفصل الرابع:

الأساليب التربوية المستنبطة من حجة الوداع

وفيه خمسة مباحث:

أولاً: القدوة الحسنة.

ثانياً: التعليم.

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعاً: الموعظة الحسنة.

خامساً: الدعاء.

الفصل الرابع:

الأساليب التربوية المستنبطة من حجة الوداع

أولاً: القدوة الحسنة:

جعل الله عز وجل لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده، وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم، فأرسل الرسل، وقصَّ على المؤمنين قصصهم وعرض سيرتهم ثم أمر باتباعهم، والاقتداء بهم ، فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ (سورة الأنعام،آية٩٠)، وإن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة، أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع، ولا سيما في الأمور العملية، ومواقف الشدة وغيرها، وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان، وكذلك فإن أثر القدوة عام يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم، حتى الأمي منهم ، فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره، ويقلده ولو لم يفهمه.

والقدوة أو الأسوة متقاربان في المعنى، وهما نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة."فالأسوة الحسنة في الرسول ﷺ، فإن المتأسِّي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة اللهّ، وهو الصراط المستقيم،وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (سورة الزخرف، آية ٢٢) (ابن سعدي،١٤٢٠هـ، ص٦٦٠).

وكان نبينا ﷺ قد امتلك مقومات القيادة الناجحة، فكان من ثمار ذلك، أن أقبلت عليه نفوس الصحابة، وتسابق الناس إليه كلٌ يريد الحج مع رسول الله ﷺ حرصاً على أن يقتدوا به – صلوات ربي وسلامه عليه – بل تأكد لهم المتابعة في الاقتداء حينما سمعوا قولهﷺ"خذوا عني مناسككم" واشتاقت نفوسهم لكل ما يفعل، بعد قوله: "يا أيها

الناس خذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا" (النسائي، ١٤٠٦هـ، ج٥، رقم الحديث ٣٠٦٢، ص ٢٧٠)

"إن المبادئ والشعارات وحدها لا تكفي، مهما بلغت من الرفعة، مالم تصبح سلوكاً في واقع الحياة العملية، يراه الناس ويتعاملون معه ويتفاعلون به، وإن للقدوة الحسنة في نفوس الناشئة أعظم تأثير، خاصة إذا ما طابق العمل" (القزاز، ١٤٢٨هـ، ص٢٤٦).

وفي سياق الحديث عن القدوة الحسنة تجدر الإشارة إلى الذين عاب الله عليهم أمرهم الناس بالطاعة وإتيانهم المعصية، ومخالفتهم ما أمروا به، فهم عند الله مذمومون قال الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة البقرة،آية ٤٤)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الصف، الآيتان ٢ – ٣).

ولكن رسول الله ﷺ امتثل كلام الله فأتمر به، وطبقه أيما تطبيق، فلقد قالت عائشة – رضي الله عنها- "كان خلقه القرآن" (ابن حنبل،١٤٢١هـ، ج٤١، رقم الحديث ٢٤٦٠١ ، ص ١٤٨)، فكان المصطفى ﷺ سباقاً لما يأمر به ، أو ينهاهم عنه.

القدوة الحسنة في حجة الوداع:

وأما ما كان في حجة الوداع فتجلى الخلق الرفيع، والمثل الأعلى لهذا الأسلوب النبوي من رسولنا ﷺ ومن شواهد ذلك:

ما جاء في خطبة الوداع حين قال ﷺ: " ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث

١٢١٨، ص٨٨٩)، قال الإمام النووي – رحمه الله – "هذا إبطالٌ لأفعال الجاهلية وبيوعها التي لم يتصل بها قبض، وأنه لا قصاص في قتلها، وأن الإمام وغيره ممن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ينبغى أن يبدأ بنفسه، وأهله فهو أقرب إلى قبول قوله وإلى طيب نفس من قرب عهده بالإسلام" (النووي، ج٨، ص١٨٢).

ومن صور القدوة الحسنة في حجة الوداع، أنه ﷺ مع حرصه على توجيه صحابته – رضي الله عنهم – إلى كثرة العبادة، والتذلل لله – جلَّ وعلا – والانكسار بين يديه، وإلى الاشتغال بأعمال البر، إلا إنه ﷺ كان أكثرهم قرباً لله وخشية منه، وأعظمهم ذلاً وانكساراً بين يديه، ومما يدل على حرصه على توجيه أصحابه للعبادة ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة، فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً، وضرباً وصوتاً للإبل، فأشار بسوطه إليهم، وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع"، [الإيضاع، السرعة] (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٦٧١، ص١٦٤)، ولما سُأل أسامة حينما أردفه رسول الله ﷺ كيف كان سيره في إفاضته من عرفات؟ قال: "كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢٨٦، ص ٩٣٦)،قال النووي في شرح هذا الحديث، "هما نوعان من إسراع السير، وفي العنق نوع من الرفق، والفجوة المكان المتسع والنص التحريك حتى يستخرج أقصى سير الناقة" (النووي،١٣٩٢هـ، ج٩، ص ٣٤).

وكذلك ما رواه عليٌ – رضى الله عنه – قال: "أهدى النبي ﷺ مائة بدنة ، فأمرنى بلحومها فقسمتها ، ثم أمرنى بجلالها فقسمتها ، ثم بجلودها فقسمتها" (البخاري،١٤٠٧، ج٢، رقم الحديث ١٦٣١، ص ٦١٣)، وهذا يدل على اشتغاله ﷺ بالحج وإشتغال من معه من الصحابة بالطاعة ، وكذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:"من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته

أمه" (البخاري،١٤٢٢هـ، ج٣، رقم الحديث ١٨١٩ ، ص١١)، فلم يعرف عنه ﷺ في حجته أنه خالف ما أمرهم به، فكان قدوة بحق، ولم يكتفي بالقول لهم؛ إلا إنه كان أقرب منهم بالفعل في شدة العبادة، والخشية لله، يدل على هذا ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: "أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات، يكبر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم حتى يسهل، فيقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً، ويدعو ويرفع يديه، ثم يرمي الوسطى، ثم يأخذ ذات الشمال فيستهل، ويقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً، ويدعو ويرفع يديه، ويقوم طويلاً، ثم يرمي جمرة ذات العقبة من بطن الوادي، ولا يقف عندها، ثم ينصرف، فيقول: هكذا رأيت النبي ﷺ يفعله" (البخاري،١٤٢٢هـ، ج٢ رقم الحديث ١٧٥١، ص١٧٨).

ومن مشاهد القدوة الحسنة في حجة الوداع أنه ﷺ في الوقت الذي كان يحث أصحابه – رضي الله عنهم- على الزهد في الدنيا والتعلق بالآخرة، إلاّ إنه كان أشدهم زهداً فيها قولاً وعملاً، فقد روى عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما -، أنه كان واقفاً بعرفات، فنظر إلى الشمس حين تدلت مثل الترس للغروب فبكى واشتد بكاؤه، فقال له رجل عنده: يا أبا عبد الرحمن قد وقفت معي مراراً لم تصنع هذا، فقال: ذكرت رسول الله ﷺ وهو واقف بمكاني هذا فقال: " أيها الناس إنه لم يبق من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه " (ابن حنبل،١٣٢١هـ، ج١، رقم الحديث ٦١٧٣، ص ص ٣١٣-٣١٤)، فكان ﷺ كان قدوة فيما قال من التزهيد فيها، فعن أنس بن مالك، قال: "حج النبي ﷺ على رحل، رث، وقطيفة تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي"(ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٢٨٩٠، ص٩٦٥).

ومن صور القدوة الحسنة في حجة الوداع، أنهﷺحينما كان يأمر الناس بترك مزاحمة المسلمين، والتريث في السير، وأداء النسك بطمأنينة، أفاض ﷺ بسكينة ووقار، وكان يسير بطمأنينة، قال علي بن أبي طالب: "ثم أفاض حين غربت الشمس، وأردف أسامة بن زيد، وجعل يشير بيده على هيئته، والناس يضربون يميناً وشمالاً، يلتفت إليهم، ويقول:يا أيها الناس عليكم السكينة" (الترمذي، ١٣٩٥هـ، ج٣، رقم الحديث ٨٨٥، ص٢٢٣).

ومن مشاهد القدوة الحسنة في حجة الوداع أن النبي ﷺ لما شرع الحلق والتقصير لأصحابه بين لهم الأفضل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اللهم اغفر للمحلقين، قالوا: وللمقصرين، قال: اللهم اغفر للمحلقين، قالوا: وللمقصرين، قالها ثلاثاً، ثم قال: وللمقصرين" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٧٢٨، ص١٧٤) ومع بيان الأفضل لأصحابه إلا أنه كان أول الممتثلين لذلك فعن عبد الله بن عمر قال: "حلق النبي ﷺ وطائفة من أصحابه وقصر بعضهم"(البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ، ١٧٢٩، ص١٧٤)، وأما السبب في تكرير الدعاء للمحلقين في حجة الوداع فقال بن الأثير: "كان أكثر من حج مع رسول الله ﷺ لم يسق الهدي، فلما أمرهم أن يفسخوا الحج إلى العمرة ثم يتحللوا منها، ويحلقوا رؤوسهم، شق عليهم ثم لما لم يكن لهم بد من الطاعة، كان التقصير في أنفسهم أخف من الحلق، ففعله أكثرهم، فرجح النبي ﷺ فعل من حلق لكونه أبين في امتثال الأمر" (ابن حجر ، ١٣٧٩هـ، ج٣، ص ٥٦٤).

الآثار التربوية لأسلوب القدوة الحسنة:

١- تجعل المسلم على اتصال دائم بالخالق – جل وعلا- ؛ لأنه يُذكّره بالطاعة والإخلاص في النية والعمل ، وإذا تمكن الإخلاص من القلب أصبح الإنسان يبتغي مرضاة الله

ورضوانه في كل عمل يقوم به ، ويجعل الله رقيباً عليه في حركاته وسكناته ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾(سورة ق،آية ١٦).

٢- تربي الشخصية المسلمة على القوة بالله ؛ لأنها تنشئ في روح الفرد العزة والكرامة ورفض الظلم، فلا تلين له قناة أمام الطغاة والمتجبرين لأنه يعتز بقدوته التي جاءت بكل ما تملك من أجل تحقيق معاني الخير للمجتمع، فقدمت النفس والمال والنفيس في سبيل الله.

٣- تُنمي الفضائل والأخلاق الحميدة في النفوس وتزودهم بالتقوى ومعرفة الله وتعزز في نفوسهم الثقة والأمل بالمستقبل المستمد من نصر الله وثوابه للمؤمنين.

٤- تعمل على تكوين الإنسان الصالح الذي يظهر عليه ملامح التقوى والخشوع والحياء ، وهو المؤمن القوي الذي لا يدخل الوهن إلى قلبه.

٥- تنشئ التوازن والاعتدال في سلوك الفرد؛ لأنه يسير وفق المنهج الرباني.

٦- تكشف العيوب وتعطي الحلول الناجحة من خلال مقارنة أعمالك وسلوكك بما عليه قدوتك الصالح فتتأسى به وتصلح تلك العيوب.

٧- دليل ومرشد إلى فعل الخيرات، فالتأسي بالقدوة يدل على أمور واجبة قد يغفل عنها أو يتكاسل عن فعلها.

٨- سببٌ في دخول الإنسان ضمن الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون يوم القيامة ، وهي ضمانٌ لاستمرار الصحبة ، قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(سورة الزخرف،آية ٦٧).

٩- تغرس الروح الجماعية في قلب الفرد المسلم من خلال أن الجميع يقتدون بقدوتهم الذي هو المثال الحي في البذل والعطاء والتضحية والفداء ، وعندما أحب الناس القدوة الأول محمد ﷺ قام المجتمع الإسلامي الفريد ، مجتمع البذل والعطاء ، مجتمع كل فرد فيه يشكل أمة لأنه تربى على الينبوع الأساسي القرآن الكريم وأخذ منه توجيهاته الربانية .

١٠- توفير الجهد التربوي من أجل انتقال مفاهيم كثيرة، هي ما تسمى التربية الصامتة، أو التربية بالإشارة.

١١- يغرس المربي ويحفز وينشط الكثير من المفاهيم التي يريدها بالفعل والتطبيق.

١٢- أثر التربية بالقدوة متعدي، فلا ترتبط بالمتربين ارتباطًا مباشرًا، فإنه ينتفع بها آخرون بمراقبته أو بمعرفة حاله؛ فَسَيُسْهِم ذلك في إيجاد بيئة تربوية راشدة.

ثانياً: التعليم.

إن النبي ﷺ، أتقن التعليم واستخدم له الوسائل والأساليب التي توصل العلم لأصحابه، ولذا قال معاوية بن الحكم السلمي: "ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج١، رقم الحديث ٥٣٧، ص٣٨١)، وبعثه الله للأمة "معلماً وميسراً" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٤٧٨، ص١١٠٤)، وفي حجة الوداع حرص النبي ﷺ أشد الحرص على بلاغ دين الله، وإقامة الحجة على الخلق، فاستخدم أسلوباً ترغيبياً في شحذ الهمم ، وشد الانتباه إلى ما يقول ويفعل، فعن جابر أن النبي ﷺ قال: "لعلي لا أراكم بعد عامي هذا" (الترمذي، ١٣٩٥هـ، ج٣، رقم الحديث ٨٨٦، ص٢٢٥).

وفيما يلي يذكر الباحث بعض طرائق التدريس التي استخدمها ﷺ في حجة الوداع؛ من أجل تعليم الصحابة – رضي الله عنهم –:

١- التعليم بتهيئة النفس للإنصات والاستماع:

وهذا مهم لقطع الصوارف، وجذب الانتباه، ووجد الباحث من خلال سرد أحاديث حجة الوداع أن النبي ﷺ استخدم أسلوبين مع الصحابة رضي الله عنهم – وهما:

أ- الطريقة المباشرة: وهي أسلوب الاستنصات:

ولأن عدد من حج تلك السنة في حجة الوداع، تجاوز مائة ألف احتاج النبي ﷺ استخدام هذا الأسلوب؛ وهو طلب السكوت والاستماع منه، فطلب من يُنْصت الناس ويُسكتهم، فقال لبلال بن رباح: "بلال أسكت الناس أو أنصت الناس" (ابن ماجة،

١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٣٠٢٤، ص١٠٠٦)، قال ابن بطال: "قال أبو الزناد : فيه أن الإنصات للعلماء، والتوقير لهم ، لازم للمتعلمين ، لأن العلماء ورثة الأنبياء" (ابن بطال،١٤٢٣هـ، ج١، ص ١٩٦)، وهذا الأسلوب كان من منهجه ﷺ فقد كان يهيئ نفوس المشركين للسماع، فحينما جاءه عتبة بن ربيعة لمفاوضته ﷺ هيأ نفسه للسماع أولاً بقوله : "أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم ،قال: فاسمع مني، قال فافعل فقال ﷺ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(سورة فصلت، الآيتان ١-٣) ثم مضى يقرأ ، فلما سمعها عتبة أنصت له ، وألقى يديه خلف ظهره ، معتمدا عليهما يسمع منه ، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك" (السلمان،١٤١٥هـ، ج٦، ص٤٧٧)، فقوله ﷺ"قد فرغت يا أبا الوليد . . قال: نعم، فقال : يابن أخي فاسمع" يدل هذا على تهيئة النفس للسماع.

ب- الطريقة غير المباشرة: وهي أسلوب الحث على الاستماع والإنصات:

وهي من الأساليب في الحث على الاستماع، وجذب الأنفس لتلقي ما يقال، بسبب أن نفوس البشر جُبلت في الغالب من صيغ الأمر ؛ فهي غير محببة للنفوس، "ولذا كان من المناسب أن يعمد المعلم إلى طرق غير مباشرة في جذب واستدعاء الحواس، لكي يحصل التلقي بنفس طيبة" (الشحود، ١٤٣٠هـ، ص ١٤٢)، ومما يدل على ذلك قوله ﷺ مراراً- : "لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه"(مسلم، ١٤١٩هـ ج٢، رقم الحديث ١٢٩٧، ص ٩٤٣)، وقال ابن حجر: "فلما خطبهم لِيُعلِمَهم ناسب أن يَأْمُرَهم بالإنصات" (ابن حجر، ١٤١٨هـ، ج١، ص٢١٧).

ومما تجدر الإشار إليه هنا توضيح الفرق بين الإنصات والاستماع في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(سورة الأعراف، آية ٢٠٤)، قال ابن سعدي: "أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع،" (ابن سعدي،١٤٢٠هـ، ص٣١٤)، وقال الإمام النووي: "الاستماع الإصغاء له، والإنصات السكوت، فقد يستمع ولا ينصت فلهذا جمع بينهما" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج١، ص٣٣٠)، وقد قال سفيان الثوري وغيره: "أول العلم الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر، وعن الأصمعي تقديم الإنصات على الاستماع" (ابن حجر، ١٤١٨هـ، ج١، ص٢١٧)، وبهذا يعلم أن الإنصات أعلى درجة من الاستماع.

٢- التعيلم باستخدام الإشارة اليد:

حرص ﷺ على تعليم الصحابة بالعبارة والإشارة، أو كما يقال: الصوت والصورة، حتى يوصل ما يريده إلى أفهام صحابته – رضي الله عنهم – وجذبا وتنبيهاً لهم، لأهمية ما سوف يقوله، ويُذَكِّرُ به، ومن ذلك في حجة الوداع، لما قام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: "يا رسول الله لعامنا هذا أو لأبد أبد فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى وقال دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبد أبد" (ابن أبي شيبة، ١٤٠٩هـ، ج٣، رقم الحديث ١٤٧٠٥ ، ص٣٣٥). فهنا شبك بين أصابعه.

وروى مسلم عن جابر – رضي الله عنهما – في حديثه الطويل عن النبي ﷺ قال: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات"(مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص ٨٨٦)، ويدل رفع الرسول ﷺ لأصبعه إلى السماء ثم الإشارة

به إليهم، شد الانتباه، والحرص على الاهتمام، لهذا الأمر المهم، وهو مقام الشهادة على التبليغ.

وقال جابر رضي الله عنهما – في إهلالِ رسول الله في الحج، أنه كان يستلم الحجر ويقبله فإن تعذر"يستلم بالإشارة من بعيد" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص ٨٨٦)، وفي هذا الحديث استخدم أصبعه الشريفة - صلوات ربي وسلامه عليه – يرفعها وينكتها، وأيضاً إشارة إلى الحجر الأسود علامة البدء والاستلام.

ومما استخدمه في حجة الوداع من تعليمه بالإشارة باليد، قوله لابن العباس- رضي الله عنه- وهو واقف على راحلته: "هات القط لي، فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده، قال: بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين." (النسائي، ١٤٠٦هـ، ج٥، رقم الحديث ٣٠٥٩، ص٢٦٨)، فأبرز ذلك الحصى لهم بين أصابعه ليعلمهم أنه بمثل هذا، ليرسخ لهم ولمن بعدهم حجم ما أراد الرمي به، وهو ما يحمل بين تلك الصابع يكون حجمه صغيراً، وأيضاً حتى يرى الناس فرفعه لهم.

٣- التعليم باستخدام القياس:

استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب ليعرض للسائل قياسين متفقين في الحكم أو العلة، ومن خلال ذلك يجعل للسائل التفكير في هذه المقايسة والإجابة عنها، ومن أمثلة ذلك في حجة الوداع، ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما – أنه قال: "أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: نعم، حجي عنها، أرأيتِ لو كان على أمك دين أكنتَ قاضية؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٧٥٤ ، ص ٦٥٦).

فعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: "إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبي دخل في الإسلام وهو شيخ كبير، فإن أنا شددته على راحلتي خشيت أن أقتله، وإن لم أشده لم يثبت عليها، أفأحج عنه؟ فقال رسول الله ﷺ: أرأيت لو كان على أبيكَ دينٌ فقضيته عنه أكان يجزئ عنه قال: نعم، قال: «فاحجج عن أبيك" (ابن حبان،١٤١٤هـ، ج٩، رقم الحديث ٣٩٩٠ ، ص٣٠٢)

وأيضاً مارواه ابن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال:"إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن أبي مات ولم يحج، أفأحج عنه؟ قال: أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيه، قال: نعم قال: حج عن أبيك" (ابن حبان،١٤١٤هـ، ج٩، رقم الحديث ٣٩٩٢ ، ص٣٠٥).

ومما سبق يدل على أن النبي ﷺ استعمل القياس لتقريب البعيد، ولجعل غير المحسوس محسوساً حتى يفهم عليه أصحابه بشكل دقيق، ويرسخ في أذهانهم.

٤- التعليم بالممازحة:

"إن المتأمل لهدي رسول الله في مزاحه ودعابته مع الصبيان يجد أُنموذجاً فريداً، فهو مع كونه نبياً ورسولاً وقائداً ومعلماً، ومربياً لهذه الأمة لم ينس الصبيان علماء المستقبل فقد كان أرحم الناس بالصبيان والعيال"(ولد كريم، ١٤٢٤هـ، ص٣٦١)، وكان رسول الله ﷺ ينسج تعليمه لأصحابه بالمداعبة، واللين، والتلطف، كما في حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: "قدمنا رسول الله ﷺ، أغيلمة بني عبد المطلب، على حُمُرات لنا من جمع، فجعل يلطح، أفخاذنا ويقول: أُبَيْنِيَّ لا ترموا الجمرة، حتى تطلع الشمس." (ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٣٠٢٥، ص١٠٠٧)، واللطح: "هو الضرب ليس

بالشديد ببطن الكف ونحوه" (ابن منظور،١٤١٤هـ، ج٢، ص ٥٧٨)، وقوله ﷺ أوبيني بمعني أي أَبنائي وهذا نوع من الملاطفة لهم منهُ ﷺ.

٥- التعليم بترتيب الأولويات:

وهذا هو ما ينبغي أن يحرص المربي والمعلم على تعليمه، فيبدأ بأعلى المصالح التي ينبغي للمتعلم أن يسلكها، فإن المتعلم إذا عرض عليه طاعتين أو عملين، يأخذ أعلاهما، وكذلك تحريضهم وتوجيههم إلى فعل الأفضل من الأعمال، ومن ذلك في حجة الوداع نماذج نبوية منها:

ما قاله النبي ﷺ: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"(الترمذي، ١٣٩٥هـ، ج٥، رقم الحديث ٣٥٨٥، ص٥٧٢)، فإن الأدعية في هذا اليوم كثيرة، ويتزاحم عند الحاج ماذا يقول فيه، فأرشد المصطفى ﷺ إلى أفضل ما يقوله المسلم في ذلك اليوم من الدعاء، وهي كلمة التوحيد قولاً وعملاً واعتقاداً.

وقوله ﷺ: "مسح الحجر والركن اليماني يحط الخطايا حطا"(ابن حبان، ١٤١٤هـ، ج٩، رقم الحديث ٣٦٩٨، ص١٢)، فإن المشروع هو الطواف، ولكن أرشد النبي ﷺإلى أن الطائف بالبيت بإمكانه أن يفعل شيئاً يكفر ذنوبه، وهذا بين في الحديث، وكذلك ما رواه ابن ماجة عنه ﷺ: "من طاف بالبيت، وصلى ركعتين، كان كعتق رقبة." (ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٢٩٥٦، ص٩٨٥).

وقوله ﷺ أي الحج أفضل؟ قال:"العج والثج" (الترمذي،١٣٩٥هـ، ج٣، رقم الحديث ٨٢٧، ص١٨٠)، "والعج رفع الصوت بالتلبية والثج إراقة دم الهدي" (ابن القيم، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٢٢١).

وقوله ﷺ لأنصاري سأله في منى عن فضائل بعض أعمال الحج فأجابه: "فأما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام، فإن لك بكل وطأة تطأها راحلتك، يكتب الله لك حسنة، ويمحو عنك سيئة، وأما وقوفك بعرفة، فإن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادي جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ويخافون عذابي، ولم يروني، فكيف لو رأوني، فلو كان عليك مثل رمل عالج، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوباً غسلها الله عنك، وأما رميك الجمار، فإنه مذخور لك، وأما حلقك رأسك، فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت، خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك "(الصنعاني، ١٤٠٤هـ، ج٥، رقم الحديث ٨٨٣٠، ص١٦)، وفي الحديث الشريف تحفيزاً للحج فحث فيه على أعظم الأعمال المقربة إلى الله جلا وعلا.

٦- التعليم بالسؤال:

لما احتاج النبي ﷺ جذب انتباه صحابته – رضي الله عنهم – في حجة الوداع إلى بعض القضايا المهمة، استخدام أسلوب الاستفهام بين يدي الحديث،أو في منتصف الحديث من أجل أن يحثهم على استحضار الذهن، يبين ذلك مارواه أبي بكرة، عن النبي ﷺ قال: "أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: نعم، قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم،

قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا البلدة؟ قلنا: نعم، قال: أي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال: فإن دماءكم، وأموالكم – قال محمد: وأحسبه قال: وأعراضكم –، عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا"(ابن حبان، ١٤١٤هـ، ج١٣، رقم الحديث ٥٩٧٤، ص٣١٢)، قال القرطبي: "سؤاله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان للاستحضار، فهو مهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه"(ابن حجر، ١٤١٨هـ، ج١ ، ص١٥٩)، واستخدم النبي ﷺ أسلوباً برز في أنه لم يخصص أحداً بعينه، ليجذب أنظار الجميع إليه؛ لأن ما سوف يُطرح هو لا يخص فرداً ، حيث كانت لغة الخطاب بصيغة الجمع.

٧- التعليم باستخدام أسلوب التقسيم، أو التفريع:

هذا الأسلوب يعتمد على تقسيم المادة العلمية التي يراد طرحها على المتعلمين، ثم تقسيمها إلى أقسام أو مراتب، ثم يقوم بطرحها عليهم، وهذه الطريقة لها فائدة عظيمة للمتعلم،إذ إنها تجعله يلم بأطراف الموضوع،وتجعل حفظ المعلومات لديه سهلاً، واستيعابها بشكل سريع، هذا بالإضافة إلى صيانة المعلومات وحفظها من النسيان، واستخدم الفقهاء – رحمهم الله – في الكتب الفقهية تقسيم العلم ، فهناك شروط، وواجبات،وأركان، ومحظورات، وسنن وآدب...إلخ . وكل هذه التقسيمات لم يرد بها نص عن المعصوم عليه الصلاة والسلام،وإنما وضعها العلماء والفقهاء – رحمهم الله – من أجل تقريب العلم لطالبيه، وحصر مواده، وجمع متفرقاته، فيسهل على مريده حفظه ومراجعته، ولقد كان النبي ﷺ يفعل مثل ذلك ومما ورد في حجة الوداع، قوله ﷺ:"ألا

إنما هن أربع: أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا" (ابن حنبل،١٤٢٣هـ، ج٣١، رقم الحديث ١٨٩٩٠، ص٣٢٤).

وقال ﷺ:"ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم، تحيط من ورائهم" (ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٣٠٥٦، ص١٠١٥).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يرضى لكم ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٣، رقم الحديث ١٧١٥ ، ص١٣٤٠).

ففي هذه الأحاديث – التي وردت في حجة الوداع – طرح معلم الأمة ﷺ فكرة محددة بعدد معين لتبيين الحلال من الحرام، أو المعروف من المنكر، أو المحبوب من المكروه، ثم يُجلي الرسول ﷺ هذا المعدود في كلام مختصر ومحدد لكنه جامع لأنواع البيان. ولعل التعليم بهذا الأسلوب فيه الكثير من التشويق وجذب الانتباه وتحديد المراد وفهم الغاية وبلوغ المرام مالم قد يحققه أسلوب غيره.

٨- التعليم بالمراسلة:

في حين أن صوت رسول الله ﷺ لا يصل إلى الناس في الحج كافة؛ لأنهم "بلغوا مائة ألف وثلاثين ألفاً" (القسطلاني، ١٤١٧هـ، ج٤، ص٨٠)، احتاج إلى استخدم وسيلة ليسمع الناس خطبته، "فها هو يستخدم ربيعة بن أمية يصرخ بصوته خلف النبي ﷺ في الناس يسمعهم خطبته- عليه الصلاة والسلام-." (ابن كثير، ١٣٩٥هـ، ج٤، ص٣٤٢)، وفي

عرفة " اتخذ رسول الله ﷺ رجلاً ينادي في الناس يعبر[يبلغ ويردد] عنه" (أبو داود، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٩٤٩، ص١٩٦).

وفي منى جعل ﷺ علياً – رضي الله عنه- يَعْبُرُ عنه، ويردد كلامه، والناس بين قائم وقاعد، كما روى رافع بن عمرو المزني، قال: "رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء، وعلي رضي الله عنه، يعبر عنه والناس بين قاعد وقائم" (أبو داود، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ، ١٩٥٦، ص ١٩٨)، [وعلي يُعْبُرُ عنه] : أي : يبلغ حديثه من هو بعيد عن النبي ﷺ ، فهو- رضي الله عنه - وقف حيث يبلغه صوت المصطفى – عليه أفضل الصلاة والسلام - ويفهمه فيبلغه للناس ويفهمهم من غير زيادة ونقصان.

ومن ذلك في حجة الوداع أنه ﷺ أرسل إلى حجاج بيت الله في مواضع من عرفة ومنى ليبلغوا عنه، فعن يزيد بن شيبان، قال: "أتانا ابن مربع الأنصاري ونحن وقوف بالموقف مكاناً يباعده عمرو، فقال: إني رسول رسول الله ﷺ إليكم يقول: كونوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم." (الترمذي،١٣٩٥هـ، ج٣، رقم الحديث ٨٨٣، ص٢٢١).

ويتبين من خلال مواقفه ﷺ في حجة الوداع أنه استخدم أحد وسائط التعليم عن بعد، والتي تعتمد على نقل المعلومات إلى المتعلمين من خلال وسائط البث الإذاعي أو الوسائط المسموعة أو المؤتمرات السمعية أو البريد المرسل، وذلك عن طريق أصحابه المبلغين عنه رضوان الله تعالى عليهم.

٩- التعليم بمراعاة ذوي الحتياجات الخاصة:

في حجة الوداع حرص ﷺ على تعليم المرضى وتوجيه الضعفة، ومن ذلك قوله لبضاعة – رضي الله عنها- حين قالت: يا رسول الله، إني أريد الحج، وأنا شاكية، فقال النبي ﷺ: "حجي، واشترطي أن محلي حيث حبستني." (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٧٠٢، ص٨٦٨)، وقوله لأم سلمة – رضي الله عنها - حين اشتكت إليه أنها وَجِعَة:" طوفي من وراء الناس وأنت راكبة." (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج١، رقم الحديث ٤٦٤، ص١٠٠).

وأمره ﷺ بتوجيهه للظُعن والضعفَة أن ينفروا من جَمْع بليل، فعن أسماء - رضي الله عنها- "أنها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة، فقامت تصلي، فصلت ساعة ثم قالت: يا بني، هل غاب القمر؟ ، قلت: لا، فصلت ساعة ثم قالت: يا بني هل غاب القمر؟، قلت: نعم، قالت: فارتحلوا ، فارتحلنا ومضينا، حتى رمت الجمرة، ثم رجعت فصلت الصبح في منزلها، فقلت لها: يا هنتاه ما أرانا إلا قد غلسنا، قالت: يا بني، إن رسول الله ﷺ أذن للظُعن" [يا هنتاه] يا هذه . [غلسنا] تقدمنا على الوقت المشروع من النغليس وهو السير في ظلمة آخر الليل . [للظعن] جمع ظعينة وهي المرأة وقيل المرأة في الهودج (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٦٧٩، ص١٦٥)،"وصرحت - رضي الله عنها - بأنه ﷺ: أذن في ذلك للظعن ، ومفهومه أنه لم يأذن للأقوياء الذكور كما ترى" (الشنقيطي، ١٤١٥هـ، ج٤، ص٤٥٢)، قال المهلب : "إنما قدم ﷺ ضعفة أهله خشية تزاحم الناس عليهم عند الدفع من المزدلفة إلى منى ، فأرخص لهم أن يدفعوا قبل الفجر ،

وأن يرموا الجمرة قبل طلوع الشمس لخوف الازدحام عليهم" (ابن بطال، ج٤، ص ٣٥٨).

وعن الفضل قال: "أن النبي ﷺ، أمر ضعفة بني هاشم أن ينفروا من جمع بليل" (النسائي، ١٤٠٦هـ، ج٥، رقم الحديث ٣٠٣٤، ص٢٦١).

وجه الدلالة من هذه الأحاديث، أن أول وقت الرمي بالنسبة للضعفة و من يقوم بشؤونهم من بعد غروب القمر، لأن أسماء و مولاها رميا بعد غروب القمر، و أضافت ذلك إلى عهد النبي ﷺ.

وكذلك يتبين في هذا الأسلوب مراعاة الفروق الفردية بين العباد بحسب طاقاتهم وقدراتهم، فلذا جاء النبي ﷺ رحمة للعالمين.

١٠- التعليم العملي المُصاحب ببيان حكمة مشروعيته:

وهذا الأسلوب قد يحتاج إليه المربي إن دعت إليه الحاجة مع بيان الحكمة في ذلك، ليثبت في الذهن بيان السياق التفصيلي، والشرح الوافي الدقيق، ومن ذلك بيانه ﷺ بعض الأحكام الشرعية، ككيفية غسل الميت محرماً وتكفينه، مع بيان الحكمة، كما في حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال:" أن رجلا وقصه بعيره ونحن مع النبي ﷺ، وهو محرم، فقال النبي ﷺ: اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تمسوه طيبا، ولا تخمروا رأسه، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢٦٧، ص٧٦)، "يعني أن الله يبعثه على هيئته التي مات عليها" (القسطلاني ١٤٢٣هـ، ج٢، ص٣٩٠).

ومن ذلك تعليمه ﷺ في حجة الوداع، الضعفاء وتوجيههم، والتيسير عليهم، وإرشادهم إلى ما هو الأخف لهم، ومثال ذلك ما جاء في حديث جبريل الطويل وفيه: "فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع؟ قال اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي"(مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث١٢١٨، ص٨٨٦)،ومعنى استثفرى : "شدى فرجك بخرقة بعد أن تحتشى قطناً، وتوثق طرفيها في شيء تشده على وسطها فتمنع بذلك سيل الدم وهو مأخوذ من ثفر الدابة بالمثلثة"(السيوطي، ١٤٠٦هـ،ج١،ص ١٨٢).

الآثار التربوية لأسلوب التعليم:

١- سبب لخشية الله، لذا لا يخشى الله حق الخشية إلا العلماء قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(سورة فاطر،آية ٢٨)، وقال الرسول ﷺ : "إن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما . إنما ورثوا العلم . فمن أخذه أخذ بحظ وافر" (ابن ماجة، ١٤٢٠هـ، ج١، رقم الحديث ٢٢٣، ص ٨١).

٢- التعليم وسيلة إلى العلم الذي يرفع الله المسلم به درجات عنده كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة المجادلة، آية ١١).

٣- إن سلوك طريق التعليم يهذب النفوس، ويربي النشئ، "ومن دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ" (الغزالي،١٤١٩هـ، ج١، ص ٥٧).

٤- ومن الآثار التي يتركها التعليم في نفوس المشتغلين به إن بعض السلف كره أخذ المال عليها، لأنهم كانوا ينظرون إليه سلعة غالية تخاطب عقول البشر وتربي نفوسهم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ (البقرة، آية ٤١)، وتمسكو بالآية لأنهم يرون "أن التعليم طاعة وعبادة كالصلاة والصوم فلا يؤخذ عليها أجر" (ابن عاشور، ١٩٨٤م،ج١،ص ٤٦٧)، فعز عليهم أخذ المال فيه، "وذهب أكثر أهل العلم إلى جواز أخذ الأجرة عليه، والأولى لمن أغناه الله أن يتعفف عن أخذ شيء في مقابل التعليم للقرآن والعقائد والحلال والحرام. والعلم عند الله تعالى." (الشنقيطي، ١٤١٥هـ،ج٢، ص-١٨١ ١٨٢)، ويؤكد ابن تيمية (١٤١٦هـ) "جواز التعليم بالأجرة مع الحاجة أو مطلقاً) (ج٣٠،ص ٢٠٦).

٥- "والتعليم سببٌ لتفضيل الإنسان على بقية أنواع جنسه بقوة النطق وإحداث الموضوعات اللغوية للتعبير عما في الضمير. وكان ذلك أيضا سبباً لتفاضل أفراد الإنسان بعضهم على بعض بما ينشأ عن النطق من استفادة المجهول من المعلوم وهو مبدأ العلوم" (ابن عاشور،١٩٨٤م، ج١، ص٤١٠).

٦- التعليم نفعه متعدي، فليس المستفيد المعلم فحسب، يقول النبي ﷺ : "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (البخاري، ١٤٢٢هـ،ج٤، رقم الحديث ٤٧٣٩، ص ١٩١٩).

٧- إنه السبيل الموصل للمغفرة والرضوان والجنة، وسبب لحفوة الملائكة ودعاء من أمرهم بالدعاء والاستغفار للمعلم والمتعلم، كما قال رسول الله ﷺ: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب

العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء . وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب".

٨- التعليم يدفع المتعلم أن يصبح مفكراً ومبدعاً، يتفاعل مع مجتمعه ويطوره، ويسهم في حل مشكلاته بطرق فعّالة مُبتكرة، وينمي قدرات المتعلم إلى أقصى ما تسمح به.

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن من ميزات دين الإسلام أن الله خصه بشعيرة عظيمة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، "وقد اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف بين أحد منهم" (ابن حزم، ١٤٠٥هـ، ج ٢، ص ١١٠)، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (سورة آل عمران، آية١١٠)، "فالمعروف شامل لكل ما تقبله العقول والفطر السليمة، والمنكر ضده" (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٩، ص١٣٥)، إن القيام بهذا الواجب يسهم في "تعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه" (ابن سعدي،١٤٢٠هـ، ص ١٤٢).

فصار الإسلام بذلك دينا صالحا لكل زمان ومكان، وصار مُتمما لمكارم الأخلاق وبلغ القمة في العدل الاجتماعي، يقول الإمام محمد عبده : "وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تشبه فريضة الحج التي هي عين ولكن على المستطيع ، وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آكد من فريضة الحج لأنه لم يشترط فيها الاستطاعة لأنها مستطاعة دائما فلا بد للمرء من حفظ نفسه ومن معه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغش، فهذه ليست من فروض الكفاية التي يتواكل فيها الناس كصلاة الجنازة إذ لا يجب على كل من يعلم أن هناك ميتا أن ينتظر غسله ليصلي عليه بل يكفي أن يعلم أنه يوجد من يصلي عليه ولكنه إذا رأى منكرا وجب عليه أن ينهى عنه ولا ينتظر غيره. (عبده، ١٤٠٠هـ ج٤، ص ٣٥) بتصرف.

إن الحج هو الفريضة التي يجتمع فيها المسلمون من كل فج عميق، وتقع بعض المخالفات الشرعية – في وقت أداء المناسك – وأغلبها بسبب جهل الناس، وتفريطهم أو لتساهلهم في تطبيق أحكام الشريعة.

ولذا كان المصطفى ﷺ نبراساً يحتذى به، وشامة شامخة للحق، فلم يشغله الزحام عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان إذا رأى بعض المعاصي يغيرها في الحال، أو بعض الاجتهادات الخاطئة يصوبها لصاحبها، بما تقتضيه حالت الإنكار عليه، ومن ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرّ وهو يطوف بالكعبة بإنسان ربط يده إلى إنسان يسير ـ أو بخيط أو بشيء غير ذلك ـ فقطعه النبي ﷺ بيده ثم قال: "قده بيده".(البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٦٢٠، ص١٥٣)، قال النووي: "وقطعه عليه ﷺ السّيْرَ محمول على أنه لم يمكن إزالة هذا المنكر إلا بقطعه أو أنه دل على صاحبه فتصرف فيه وقال غيره كان أهل الجاهلية يتقربون إلى الله بمثل هذا الفعل، وقال بن بطال: في هذا الحديث إنه يجوز للطائف فعل ما خف من الأفعال وتغيير ما يراه الطائف من المنكر وفيه الكلام في الأمور الواجبة" (ابن حجر، ١٤١٨هـ، ج٣، ص٤٨٢).

والمتأمل في حياة المصطفى ﷺ وجد أن حياته مضت في بيان الخير والدعوة إلى كل ما يقرب من ذلك، وتحذيره من الشر والبعد بالترهيب عن كل ما يوقع في المحظور، وفي حجة الوداع أرشد الحجيج ﷺ إلى ما يقوم نسكهم، ويصلح حالهم في الدنيا والآخرة، وحذرهم في الوقت نفسه بضد ذلك، ومن الأمثلة أيضاً في حجته، أنه دل رجلاً – قد سمعه دخل النسك مهلاً بالحج عن غيره، وهو لم يحج عن نفسه– لما هو أولى في

حقه، كما جاء في حديث ابن عباس- رضي الله عنهما-:"أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول: لبيك عن شبرمة، قال: «من شبرمة؟» قال: أخ لي - أو قريب لي - قال: «حججت عن نفسك؟» قال: لا، قال: «حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة" (أبو داود، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٨١١، ص١٦٢).

فعندما رأى النبي ﷺ أن هذا الرجل قد نوى في حجته أن يحج عن غيره وهو لم يحج عن نفسه بعد- لأنه ربما مات قبل أن يحج عن نفسه فيكون في ذلك مقصراً، وهذا منكر مخالف لما جاء به الشرع الإسلامي- أمره أن يحج عن نفسه أولا ثم عن غيره إن شاء، لأنه لا يجوز أن يحج الإنسان عن غيره مع قدرته عن الحج عن نفسه إذا لم يحج عن نفسه، "وهذا ما أجمع عليه جمهور العلماء من جواز الحج عن المعضوب والميت محله فيما إذا كان الذي يحج عنهما قد حج عن نفسه حجة الإسلام"(الشنقيطي،١٤١٥هـ، ج٤، ص ٣٢٨)

"وظاهر الحديث أنه لا يجوز لمن لم يحج عن نفسه أن يحج عن غيره وسواء كان مستطيعا أو غير مستطيع، لأن النبي ﷺ لم يستفصل هذا الرجل الذي سمعه يلبي عن شبرمة وهو ينزل منزلة العموم" (العظيم آبادي،١٤١٥هـ، ج٥، ص١٧٤).

ومن الأمثلة في حجة الوداع، إنكاره ﷺ على من تأخر في الحل من الإحرام من أصحابه ممن لم يسق الهدي - رضي الله عنهم-، وغضبه لذلك، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: "أهللنا مع رسول الله ﷺ بالحج، فلما قدمنا مكة أمرنا أن نحل ونجعلها عمرة، فكبر ذلك علينا، وضاقت به صدورنا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فما ندري أشيء بلغه من السماء أم شيء من قبل الناس، فقال: أيها الناس، أحلوا، فلولا الهدي الذي

معي فعلت كما فعلتم، قال: فأحللنا حتى وطئنا النساء، وفعلنا ما يفعل الحلال، حتى إذا كان يوم التروية، وجعلنا مكة بظهر، أهللنا بالحج" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٦، ص٨٨٤) فحلُّوا ، وسمعوا، وأطاعوا، والأحاديث في فسخ الحج إلى العمرة كثيرة ، فدل دلالة قاطعة أن المؤكد في حق من أحرم مفرداً أو قارناً ولم يسق الهدي أن يتحلل بالتقصير بعد الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ويجعلها عمرة، لأن المشهور من أمر الجاهلية أنهم كانوا يرون العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور، فشدد النبي ﷺ على أمر الحل ليزيل هذا الاعتقاد من قلوبهم.

وجاء في حجة الوداع إنكاره ﷺ إنكاراً عملياً على الفضل – رضي الله عنه- النظر إلى الظُعُن اللاتي كن يجرين، كما في حديث جابر- رضي الله عنه- الطويل، قال: "وأردف الفضل بن عباس، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن يجرين، فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر" (مسلم، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص٨٩١)، "وأصل الظعينة البعير الذي عليه امرأة ثم تسمى به المرأة مجازا لملابستها البعير" (النووي، ١٣٩٢هـ، ج٨، ص ١٨٩)، والمقصود هو"الحث على غض البصر عن الأجنبيات، وغضهن عن الرجال الأجانب وهذا معنى قوله: وكان أبيض وسيما حسن الشعر يعنى أنه بصفة من تفتتن النساء به لحسنه"(النووي،١٣٩٢هـ، ج٨، ص١٩٠)، وقوله ﷺ: "فلم آمن الشيطان عليهما" فهذا يدل على أن وضعه ﷺ يده على وجه الفضل كان لدفع الفتنة عنه وعنها، وفيه أن من رأى منكراً وأمكنه إزالته بيده

لزمه إزالته فإن قال بلسانه ولم ينكف المقول له وأمكنه بيده أثِم ما دام مقتصراً على اللسان" (النووي، ١٣٩٢هـ، ج٨، ص١٩٠).

وإنكاره ﷺ على الفضل النظر إلى الخثعمية، كما في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما- قال: "كان الفضل رديف النبي ﷺ ، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: إن فريضة الله أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم» وذلك في حجة الوداع" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٣، رقم الحديث ١٨٥٥، ص١٨)، قال أبو الحسن: "وفى نظر الفضل إلى المرأة مغالبة طباع البشر لابن آدم وضعفه عما ركب فيه من شهوات النساء، وفيه أن على العالم أن يغير من المنكر ما يمكنه إذا رآه" (ابن بطال،١٤٢٣هـ، ج٤، ص١٨٧).

وهنا مسألة مهمة، وهي الإنكار على الصبيان:

قال الإمام شرف الدين محمد بن عبد القوي المرداوي في منظومته، منظومة الآداب:

"وأنكر على الصبيان كل محرم بتأديبهم والعلم في الشرع بالرد

هذه مسألة غُفل عنها، وهي مسألة وجوب تربية الصغار الأولاد الصغار، وعدم إهمالهم فلا يقال: هؤلاء صغار ليس عندهم خبرٌ، ما عندهم علم، بل يربون من الصغر على الخير ويجنبون الشر، حتى ينشأوا على كراهية المعاصي ومحبة الخير" (الفوزان، ١٤٢٦هـ، ص١٥٣).

وجاء ما يؤكد هذا المعنى فيما رواه إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله ﷺ: أن النبي ﷺ قال: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته ،قال إبراهيم النخعي وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٣، رقم الحديث ٣٤٥١، ص ١٣٣٥).

الآثار التربوية لأسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- إقامة الملة والشريعة وحفظ الدين والعقيدة لتكون كلمة الله هي العليا، فقد تكفل الله عز وجل بحفظ دينه وشريعته، وجعل لذلك أسباباً كثيرة من هذه الأسباب الدعوة إلى هذا الدين، وحمايته من أعدائه، وهذا من أول مراتب الضروريات الخمس التي أمر الله بحفظها، ويدخل في حفظ الدين أيضاً نبذ كل ما يتنافى مع الإيمان بالله تعالى والعقيدة الصحيحة كالشرك والابتداع في الدين، ورفض كل ما يخالف أمر الشريعة كالتحاكم إلى غير شرع الله تعالى، وكذلك اجتناب الذنوب والمعاصي بجميع أنواعها، وكل هذا لا يمكن تحقيقه إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- إقامة الحق وظهوره بين الناس وانتشار العدل، واضمحلال الجور والظلم بين العباد، لوجود من يردع أهل الظلم، ويقف مع المظلومين، ولذلك أمرنا رسول الله ﷺ أن ننصر المظلوم، ونقف في صفه حتى ينال حقه من الظالم، وأن نردع الظالم عن ظلمه حتى يعود إلى صوابه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: "تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ٦، رقم الحديث ٦٥٥٢، ص٢٥٥٠)

٣- يزيل عوامل الشّرّ والفساد، فمن خلال هذا الأسلوب التربوي تحاصر الرذيلة، وتنقمع المعصية ويقع الرعب والخوف في قلوب أرباب الفساد والمعاصي، وذلك أن أهل الفساد يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، كما قال عثمان بن عفان - رضي الله عنه -: "ودت الزانية لو زنى النساء كلهن" (ابن تيمية، ١٤٢٦هـ، ج٢، ص٢٥٦).

٤- يبعث معنى الأخوة والتكامل بين المؤمنين؛ لأنه نوع من التناصح الذي يبعث الإحساس بالتكامل فيما بينهم، والتعاون على البر والتقوى واهتمام المسلمين بعضهم ببعض، وقد أمرنا الله تعالى بذلك فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (سورة المائدة، آية٢)، وإن القيام بذلك مما يوطد الأمن ويبعث الطمأنينة في نفوس المسلمين، ويؤكد الثقة والمحبة والاعتزاز بالجماعة في قلوب المؤمنين ويأمن الناس على الحقوق والحرمات.

فالمؤمن مرآة أخيه المؤمن يبصره بعيوبه، ويرشده إلى منفعته، كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: "المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه"(أبو داود، ١٤١٩هـ، ج١٣، رقم الحديث ٤٢٧٢، ص٧٦)، وكان عمر - رضي الله عنه - يسأل سلمان عن عيوبه، وكان يقول: "رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي"(إحياء علوم الدين،د.ت، ج٣، ص٦٤).

٥- التمكين في الأرض والنصر على الأعداء، حيث وعد الله عباده المؤمنين بالنصر على أعدائهم مقابل نصرهم لدينه ولكتابه، وامتثالهم لأوامره، واجتنابهم لنواهيه، وإقامتهم لحدوده، ونصحهم لعباده، وجهادهم في سبيله لإعلاء كلمته، واتباعهم

لرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (سورة الحج،آية٤٠)، ثم بين صفات هؤلاء الموعودين بهذا النصر في الآية التي بعدها، فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(سورة الحج، آية٤١)، قال الإمام محمد المختار: "يدل على أن الذين لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ليس لهم وعد من الله بالنصر البتة، فمثلهم كمثل الأجير الذي لم يعمل لمستأجره شيئا ثم جاءه يطلب منه الأجرة، فالذين يرتكبون جميع المعاصي ممن يتسمون باسم المسلمين ثم يقولون: إن الله سينصرنا مُغَرَّرُون لأنهم ليسوا من حزب الله الموعودين بنصره كما لا يخفي" (الشنقيطي،١٤١٥هـ، ج٧، ص٢٥٢).

٦- المحافظة على صفة الخيرية التي اتصفت بها الأمة الإسلامية في قول الله عز وجل: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(سورة آل عمران، آية ١١٠)، فما عليها إلا أن تحقق شرط الله فيها ألا وهو الإيمان بالله تعالى وحده والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قرأ هذه الآية فقال: "يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها" (الطبري،١٤٢٠هـ، ج٣، ص٣٨٩).

٧- إصلاح حياة الأمة بجميع جوانبها الدينية، والاجتماعية، والأخلاقية، والسياسية، والاقتصادية، والصحية، والإعلامية، فإذا التزم المسلم – في كل جوانب حياته – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدر استطاعته، لصلحت حياة الناس كلها بمشيئة

الله سبحانه وتعالى، فما على المسلم إلا أن يؤدي شرط الله عليه حتى تتحقق لأمته كل جوانب الخيرية والأفضلية.

رابعاً: الموعظة الحسنة:

الوعظ هو النصح والتذكير بالخير على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل،"وهذا الأسلوب من أساليب التربية بصفة عامة، وهو قوي التأثير في النفوس؛ لأنه يدل على احترام الواعظ لمن خاطبه، فيجذبه ذلك إليه أكثر ويجعل قلبه يميل لتصديقه واتباعه" (عطية، ١٤٢٥هـ، ص١١٨)، "وهي من أهم وسائل التربية الإسلامية المؤثرة في تكوين المسلم عقدياً وخلقياً، إذ تعتمد هذه الطريقة على الدعوة إلى الله بالنصح والإرشاد واللين، كل ذلك بأسلوب مقبول وطريقة حسنة لا تملها النفس أو تأباها، انطلاقاً من قول الله تعالى: ادع إلى سبيل ربك...) (القزاز، ١٤٢٨هـ، ص٢٥٦).

وللموعظة أركان" تختلف أُسلوباً، ومحتوى بحسب حالة الموعوظ، ثم يظهر تأثيرها بحسب إخلاص الواعظ وفهمه لمن يرشده، وبراعة الوعظية والعلمية، وأركانها الواعظ، والموعوظ، والموعظة" (الحازمي، ١٤٢٥هـ، ص٤٠٠).

والموعظة أسلوب القرآن الكريم، وجاء استخدام هذا الأسلوب في أكثر من موطن قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾(سورة النحل، آية٩٠)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾(سورة يونس،آية ٥٧)، وسلك النبي ﷺ في دعوته أسلوب القرآن كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (سورة النحل،آية ١٢٥).

واهتم الرسول ﷺ بهذا الأسلوب في حجة الوداع "فكثر وعظه ﷺ، وتعددت مواطنه؛ إذ وعظ الناس واستثار كوامن نفوسهم في عرفات، وأثناء تنقله بين المشاعر، وفي منى يوم النحر، وأيام التشريق، وفي طريق العودة إلى المدينة، وما ذلك منه إلا لكون النفوس في الموسم أكثر تهيؤا لقبول الوعظ والتأثر به." (البعداني، ١٤٢٣هـ، ص١٠٩).

وتميز وعظه ﷺفي حجة الوداع بما يلي:

١-التزامن بين القول والعمل، فكان ما يُذَكِّر به ﷺ هو ما يفعله، وهو أسرع الناس إلى إتيان ما يعظهم به، وكان لا يقول ما لا يفعل، بل هو السبق لأوامره والأبعد عن نواهيه، وذلك عندما أسرع السير في بطن الوادي الذي حل فيه غضب الله – تعالى- بأصحاب الفيل، وهو وادي محسر، كما جاء في حديث علي – رضي الله عنه- قال:" ثم أفاض حتى انتهى إلى وادي محسر، فقرع ناقته، فخبت حتى جاوز الوادي فوقف" (الترمذي،١٣٩٥هـ، ج٣، رقم الحديث ٨٨٥، ص٢٢٣) ، وسُمي الوادي بذلك لأن الفيل حسر فيه وتعب، ولم يستطع مواصلة السير إلى الكعبة، قال ابن القيم الجوزية: " وهذه كانت عادته في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه". (ابن القيم، ١٤٢٥هـ، ج٢، ص ٢٣٦).

٢-تميزت مواعظه بالوضوح وسهولة العبارة وعدم التكلف، فهو يخاطب جميع الناس، فلم يستخدم في خطبه لغات شاذة، أو غير مفهومة، أو غير معهودة، كل ذلك حتى يعي الناس موعظته.

٣-اهتمامه ﷺ بالأولويات فها هو في أكثر من مكان في حجة الوداع يقوم بالتأكيد على المسائل المهمة، وبيان قواعد الملة ، التي تقوم نجاة العباد عليها، وصلاح الدين وقوام الدنيا بها.

٤-التكرار لمسائل مهمة في حجة الوداع، وهذا بين واضح لمن استقرئ خطبه ومواعظه ﷺ، فكرر تأكيده على حرمة الدماء والأموال والأعراض في كل من يوم عرفة ويوم النحر وأوسط أيام التشريق.

٥-الحرص على اقتناص الفرص التي يجتمع فيها الناس وهم مقبلون على السماع، وربطه بين المواقف بأجمل أساليب الجذب لسماعه، من ذلك حينما خطب الناس يوم النحر فقال ﷺ:" أتدرون أي يوم هذا؟، قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: فإن هذا يوم حرام، أفتدرون أي بلد هذا؟، قالوا الله ورسوله أعلم، قال: بلد حرام، أفتدرون أي شهر هذا؟، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " شهر حرام، قال: فإن الله حرم عليكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا "، وعن ابن عمر رضي الله عنهما، وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حجها، وقال: هذا يوم الحج الأكبر، فطفق النبي ﷺ يقول: اللهم اشهد، وودع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٧٤٢، ص١٧٧).

٦-الجمع بين الترغيب والترهيب في حجة الوداع كان سمة بارزة، ومن ذلك قوله ﷺ: "من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢، رقم الحديث ١٥٢١، ص١٣٣)،وقوله ﷺ غداة جمع الناس: " إن الله تطول عليكم في

جمعكم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله" (ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٣٠٢٤، ص١٠٠٦).

ومن خلال هذا الأسلوب تناوله النبي ﷺ في وعظه للناس وتذكيره إياهم قضايا عدة، وموضوعات مختلفة، من أهمها:

١- التحذير من الغلو في أمور الدين:

ولما كان الغلو مهلكة حذر منه النبي ﷺ إذ قال:"يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"(ابن ماجة،١٤٢٠هـ، ج٢، رقم الحديث ٣٠٢٩، ص١٠٠٨)، والغلو في الشرع "هو مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل" (التميمي، ١٤١٨هـ ، ج٢، ص٦٤٣).

٢- الأمر بالتقوى والدلالة على ما يدخل المرء الجنة:

جاء عن سليم بن عامر قال: سمعت أبا أمامة، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: "اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم، قال: فقلت لأبي أمامة: منذ كم سمعت من رسول الله ﷺ هذا الحديث؟ قال: سمعته وأنا ابن ثلاثين سنة" (الترمذي، ١٣٩٥هـ، ج٢، رقم الحديث ٦١٦، ص٥١٦)،: "والتقوى، هي الوقوف مع الحدود، لا يقصر فيها ولا يتعداها" قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ (سورة الطلاق،آية١) (الشاطبي،١٤٢٩ هـ، ج١، ص١٥٩)، وأجمع ما يقال في

تعريف التقوى: "هم الذين اتخذوا وقايةمن عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه" (العثيمين،١٤١٩هـ، ص ٢١٤).

٣- التزهيد في الدنيا:

قال ﷺ قبل الغروب بعرفات: "أيها الناس إنه لم يبق من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه" (ابن حنبل، ١٤٢١هـ ، ج١٠، رقم الحديث ٦١٧٣، ص٣١٤).

٤- تأكيده ﷺ التبليغ عنه،وتحذيره من الكذب عليه:

قال ﷺ:"نضر الله امرأ سمع مقالتي، فبلغها، فرب حامل فقه، غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه" (ابن ماجة، ١٤٢٠هـ، ج٢، رقم الحديث ٣٠٥٦، ص١٠١٥)، وقال ﷺ:"ألا وقد رأيتموني وسمعتم مني وستسألون عني، فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار"(ابن حنبل،١٤٢١هـ، ج٣٨، رقم الحديث ٢٣٤٩٧، ص٤٨٢).

٥- الوصاية ببر الوالدين وصلة الرحم:

عن أسامة بن شريك، قال: سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع حين خطب الناس بمنى يقول: "أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك" (الطبراني،١٤١٥هـ، ج١، رقم الحديث ٤٨٤، ص ١٨٤)

وعن الأشعث بن سليم، عن أبيه، عن رجل من بني يربوع قال: أتيت النبي ﷺ فسمعته وهو يكلم الناس يقول: " يد المعطي العليا أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك فأدناك "، قال: فقال رجل: يا رسول الله، هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين أصابوا

فلانا، قال: فقال رسول الله ﷺ: " أَلَا لَا تجني نفس على أُخرى " (ابن حنبل،١٤٢١هـ، ج٢٧، رقم الحديث ١٦٦١٣، ص ١٥٩).

٦- التذكير بأن لا تزر وازة وزر أخرى:

جاء عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺيقول في حجة الوداع: "ألا لا يجني جان إلا على نفسه. لا يجني والد على ولده، ولا مولود على والده"(ابن ماجة، ١٤٢٠، ج٢، رقم الحديث ٢٦٦٩، ص٨٩٠).

٧- الوصاية بالضعفاء من النساء والأرقاء:

قال ﷺ:"فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص٨٨٩)، وجاء في حديث مرفوع: "أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: "أرِقَّاءَكم أرِقَّاءَكم أرِقَّاءَكم ، أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، فإن جاءوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم " (ابن حنبل، ١٤٢١هـ، ج٢٦، رقم الحديث ١٦٤٠٩، ص٣٣٤).

٨- الترغيب في حسن الخلق، وفعل الخيرات، وترك الفسوق والعصيان أثناء النسك، والاشتغال بما ينفع، والحث على الضيافة، والكرم:

قال ﷺ: "من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٣، رقم الحديث ١٨١٩، ص١١)، وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ لما أفاض من عرفة، تسارع قوم، فقال: - أو فنودوا - ليس البر بإيضاع الخيل، ولا الركاب " قال: "فما رأيت رافعة يدها تعدو حتى أتينا جمعا " (ابن حنبل،١٤٢١هـ، ج٤، رقم الحديث ٢٠٩٩ ، ص١٢)، وقوله ﷺ حين سئل في شأن الحج فقيل له: ما بر الحج؟

قال: "إطعام الطعام، وطيب الكلام" (الحاكم،١٤١١هـ، ج١، رقم الحديث ١٧٧٨، ص٦٥٨).

٩- حثه ﷺ على اجتناب أذية الآخرين، والاجتهاد في الطاعة، وهجر المعصية:

وجاء في حديث فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: "ألا أخبركم بالمؤمن، من أمنه الناس على أموالهم، وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه، ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب" (ابن حبان،١٤١٤هـ، ج١١، قم الحديث٤٨٦٢، ص٢٠٤).

١٠- حثه ﷺ الناس على الاجتهاد في التضرع والمناجاة والدعاء، ودفعه إياهم إلى رجاء المغفرة وتوقع نيل الرحمة:

ومن ذلك قوله ﷺ: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٣٤٨، ص٩٨٢).

الآثار التربوية لأسلوب الموعظة الحسنة:

١- وقاية وصيانة للفرد والمجتمع على حد سواء، - إذا أخذوا به – وأن الذي لا يقبل به تصيبه الويلات والمصائب والكوارث، وربما يقود ذلك إلى الهلاك والدمار والإنهيار" (ضياء الدين، ٢٠٠٥، ص١٠٨)، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ (سورة القصص، آية ٥٩)

٢- تزكية للنفس الإنسانية وتطهير لها من كل ما يتعلق بها من آثام ومعاصي، وأمراض، وهذا من أهداف التربية الإسلامية التي تسعى التربية الإسلامية لتحقيقها" (ضياء الدين،٢٠٠٥، ص١٠٩).

٣- لها دور مباشر في التوجيه والإرشاد لكلٍ من الكبار والصغار على حد سواء، ومن ثم وجه القرآن الكريم لأهمية هذا الأسلوب التربوي وحث عليه، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ سورة النحل، آية ١٢٥).

٤- سبب في إشاعة الود والمحبة ويكون ذلك أوعى لقبولها والعمل بها، ومن ثم تكون سبيلاً للدعوة والتغيير إلى الأفضل في سبيل الله قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾(سورة آل عمران، آية ١٥٩)، إما إذا اقترنت الموعظة بأسلوب غليظ مصحوب بالقسوة والشدة، فإنها ستؤدي إلى النفور والاشمئزاز، بل والبعد عن منهج الله ورسوله ﷺ.

٥- تفيد في تذكرة المؤمنين، وفي زيادة خشوعهم لله، كما أنها تنبه الغافل والساهي والجاهل، فينتفع الجميع بها؛ والواعظ والسامع.

خامساً: الدعاء:

الدعاء لغة: الدعاء مصدر الفعل دعا،"دعا الرجل دعواً ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً أي صِحْتُ به واستدعيته" (ابن منظور،١٤١٤هـ، ج١٤، ص٢٨٥).

وفي الشرع جاء في عدة تعريفات منها:

أ- "هو الرغبة إلى الله - عز وجل – " (ابن منظور،١٤١٤هـ، ج١٤، ص٢٥٧).

ب- قال الخطابي – رحمه الله -: ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه – عز وجل – العناية، واستمدادُهُ إياه المعونة.

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول، والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله – عز وجل – وإضافة الجود والكرم إليه" (الخطابي، ١٤١٢هـ، ص٤).

ج- وعُرف بأنه: " طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشق ما يضره أو دفعه" (ابن القيم، ١٤١٦هـ، ج٣، ص٢).

وبعد هذه التعاريف يمكن القول بأن الدعاء: هو اللجوء والابتهال إلى الله – تبارك وتعالى – ودعاءه مسألة أو عبادة، لجلب ما ينفع أو دفع ما يضر.

وجاء الدعاء في القرآن بعدة اطلاقات منها: ما أطلق على العبادة، والقول، والنداء، والثناء، والاستغاثة، والسؤال بمعنى الاستفهام والاستعلام، والسؤال بمعنى الطلب، والعذاب" (الحمد، ١٤١٨هـ، ص ص ٨-٩).

وخاطب الله عباده فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (سورة غافر، آية٦٠)، "وهذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم"(ابن سعدي،١٤٢٠هـ، ص٧٤٠).

"وكذلك توجه النبي ﷺ إلى ربه بالدعاء، والرغباء، والتضرع والثناء بخشوع وخضوع، داعياً وملبياً، سائلاً وبتهلاً" (حمادة، ١٤١٣هـ، ص١٦٥)، وفي حجة الوداع ذلك المشهد العظيم، تسكب فيه العبارات وترفع فيه الزفرات لرب الأرض والسموات، فكان رسول الله ﷺ أشد الناس دعاءًا وأكثرهم ابتهالاً.

وتتعدد مواطن الدعاء في مناسك الحج، فقد علم الرسول ﷺ أصحابه والمسلمين ومن بعده الدعاء، وأورد ابن القيم ست وقفات للدعاء تضمنتها حجته ﷺ، هي: "الموقف الأول: على الصفا، والثاني: على المروة، والثالث: بعرفة، والرابع: بمزدلفة، والخامس: عند الجمرة الأولى، والسادس: عند الجمرة الثانية" (ابن القيم، ١٤٠٧هـ ، ج٢، ص ص ٢٨٧-٢٨٨)، ومن الأحاديث الواردة في حجة الوداع مايلي:

١- الدعاء عند بدء الإهلال بالحج:

وكان أول ما أهل به المصطفى ﷺ التلبية، قال جابر – رضي الله عنه -: "فأهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، وأهل الناس بهذا الذي يهلون به فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئا منه ولزم رسول الله ﷺ تلبيته " (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص٨٨٦)."فأخبر جابر – رضي الله عنه - أنه لم يزد على هذه التلبية ولم يذكر أنه أضاف إليها حجا ولا عمرة" (ابن القيم، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ٤٧٥)، وإهلال النبي ﷺ بالتوحيد بهذه التلبية؛ لأن أغلى ما يملكه المسلم عقيدته الصافية التي يجب التمسك بها، فكانت التلبية إعلان التوحيد وإظهاره، وجاء عن خلاد بن السائب الأنصاري عن أبيه : أن رسول الله ﷺ قال: " أتاني جبريل ﷺ فأمرني أن آمر أصحابي ومن معي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال، أو قال: بالتلبية ، يريد أحدهما " (أبو داود، ١٤١٩هـ، ج١، رقم الحديث ١٨١٤ ،

ص٥٦٣)، "فحج البيت إجابة لدعوة الخليل – عليه الصلاة والسلام بأمر الله عز وجل: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾(سورة الحج، آية ٢٧) فمن حج البيت أو اعتمر فإنه مجيب لنداء الخليل – عليه الصلاة والسلام- إلى أن تقوم الساعة، لبيك اللهم لبيك، إجابة لدعوتك على لسان خليلك إبراهيم – عليه الصلاة والسلام" (الفوزان، ١٤٢٦هـ، ص ص ٦٤٣-٦٤٤)، والتلبية من أعظم الأدعية التي تعلق القلب بالله وهي شعار التوحيد.

٢- التكبير عند بدء الطواف والسعي:

كان النبي ﷺ يكبر عند بداية كل شوط في الطواف، وكذلك عند كل بداية شوط في السعي، كما في حديث جابر – رضي الله عنه قال: "كلما حاذى الحجر كبر" وحينما بدأ بالصفا ورقي عليه حتى رأى البيت استقبل القبلة فوحد الله وكبره" (مسلم، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص ٨٨٦)، قال شيخ الإسلام في الفتاوى: "التكبير يراد به أن يكون الله عند العبد أكبر من كل شيء، كما قال ﷺ لعَدِيِّ بن حاتم : "يا عدي، ما يُفِرُّك ؟ أيُفِرُّك أن يقال : لا إله إلا اللهّ ؟ فهل تعلم مِنْ إله إلا اللهّ ؟ يا عدي، ما يُفِرُّك ؟ أيُفِرُّك أن يقال : اللهّ أكبر ؟ فهل من شيء أكبر من اللهّ ؟ وهذا يبطل قول من جعل أكبر بمعنى كبير" (ابن تيمية،١٤١٦هـ، ج١٥، ص٧٦)، فالله أكبر قال البدر: (١٤١٩هـ، ص ٢٨٦) "من كل شيء، فلاشيء ولا أعظم منه، ولهذا يقال إن أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال هي: الله أكبر، أي صِفْهُ بأنه أكبر من كلِّ شيء، قال الشاعر:

رأيت الله أكبر كلِّ شيء محاولةً وأكثرهم جنوداً

وتكبير الله من مدحه والثناء عليه جل وعلا، وهو مما يحسن للداعي أن يقدم كل شي يدل على ثناء الله ومدحه.

٣- الدعاء على الصفا والمروة:

كان دعاء النبي ﷺ على الصفا والمروة كما روى جابر – رضي الله عنه – فقال ﷺ: "لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى، حتى إذا صعدتا مشى حتى إذا أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص٨٨٦).

٤- الدعاء يوم عرفة:

وجاء عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"(الترمذي، ١٤٢٠هـ، ج٥، رقم الحديث ٣٥٨٥، ص٥٧٢)، وقال جابر – رضي الله عنه -: "ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص" (ابن ماجة، ١٤٢٠هـ، ج٢، رقم الحديث ٣٠٧٤، ص ١٠٢٢) قال الإمام النووي: "ومن الآداب في الدعاء، استحباب استقبال الكعبة في الوقوف" (النووي، ١٣٩٢هـ، ج٨، ص ١٨٥).

٥- الدعاء عند المشعر الحرام:

وحينما وقف ﷺ على المشعر الحرام [المراد به قُزَح، وهو جبل معروف بالمزدلفة] (الألباني،١٤٠٥هـ، ص٧٦) فدعاه، وفي لفظ فحمد الله وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر" (الألباني، ١٤٠٥هـ، ص٧٦)، وصح عن رسول الله ﷺ: "أنه ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جدا" (ابن حبان،١٤١٤هـ، ج٩، رقم الحديث ٣٩٤٤، ص ٢٥٨).

الآثار التربوية لأسلوب لدعاء:

الدعاء من العبادات العظيمة، وذكر الله واللهج به ودعاءه من أفضل لحظات المرء المسلم، وأسعد أوقاته، وأفضل ما يتقرب العبد به إلى ربه، وهو مفتاح لكل خير يناله العبد في الدنيا والآخرة، "فمتي أعطى الله العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له ومتي أضله عن المفتاح بقى باب الخير مرتجا دونه" (ابن القيم، ١٣٩٧هـ، ص٩٧)، ومن أهم آثار الدعاء التربوية:

١- ترسيخ مبدأ الوحدانية لله تعالى:

الدعاء هو الالتجاء إلى الله الأحد الفرد الصمد، يدعوه المسلم في السراء والضراء، فلا يشرك معه أحداً، فمن عرف الله حق معرفته يعلم بأن الله مستجيب له، ويعلم بأنه لا كاشف الضر إلا الله، ولا جالب النفع إلا الله، وفي حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ:"إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت

الصحف" (الترمذي، ١٣٩٥هـ، ج٩، رقم الحديث ٢٧٠٦، ص٤٣٠)، وكذلك دعاء الله بأسمائه الحسنى وفهم معانيها، ودلالاتها يرسخ توحيد الله في النفوس.

٢-الدعاء من أعظم وسائل الاتصال بين المخلوق العاجز، وبين الخالق القادر:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (سورة الإسراء، الآيتان ٥٦، ٥٧).

٣- أنه صلة بين المسلم والمسلم حتى بعد الممات:

قال الله - سبحانه وتعالى -:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر، آية ١٠)، وذكر الرسول ﷺ الأمور التي لا تنقطع عن الميت بعد موته، وتنفعه بعد انقطاعه عن الدنيا، ومنها الدعاء، فقال: "أو ولد صالح يدعو له" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٣، رقم الحديث ١٦٣١، ص ١٢٥٥) "قال العلماء معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف" النووي،١٣٩٢هـج١١، ص ٨٥).

٤- ملازمة الدعاء أخذ بالأسباب لرفع البلاء ودفع الشقاء:

كما قال تعالى: عن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾(سورة مريم، آية ٤٨) وقال تعالى عن

زكريا – عليه السلام –: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾(سورة مريم، آية ٤).

٥- ينال المؤمن بالدعاء منزلة عملٍ لم يعمله:

وهذا من فضل الله، ورحمته، وكرمه على عباده،كما في قوله ﷺ: "من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٣، رقم الحديث ١٩٠٨، ص ١٥١٧).

٦- الدعاء يزيد الإيمان:

لما كان الدعاء عبادة كما فعن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ قال: "الدعاء هو العبادة" (أبو داود، ١٤١٩هـ، ج١، رقم الحديث ١٤٧٩ ، ص ٤٦٦)، والعبادة طاعة لله تزيد في الإيمان وتنقص بالمعصية كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(سورة الأنفال،آية ٢).

الفصل الخامس:

الاستخلاصات العامة للدراسة

وفيه ثلاثة مباحث:

أولاً: التطبيقات التربوية للمضامين المستنبطة من حجة الوداع:

ثانياً: نتائج الدراسة:

ثالثاً: توصيات الدراسة ومقترحاتها:

الفصل الخامس:

الاستخلاصات العامة للدراسة

حاولت هذه الدراسة الكشف عن المضامين التربوية المستنبطة من حجة الوداع. ولتحقيق هذا الهدف، عرض الفصل الثاني لأهم المبادئ التربوية المستنبطة من حجة الوداع، وذلك في ستة مباحث، تناول الأول منها تربية المسلم على تحقيق التوحيد لله وحده، وتحدث المبحث الثاني عن التربية على تعظيم شعائر الله، وأما المبحث الثالث فتناول التربية على إظهار البراءة من المشركين ومخالفتهم، فيما تكلم المبحث الرابع عن التربية على احترام حقوق الآخرين، بينما جاء المبحث الخامس ليتناول التربية على توحيد الأمة وائتلافها، وتحذيرها من الفتن والافتراق، وأخيراً تناول المبحث السادس التربية على الاتباع وتوحيد مصدر التلقي، وقد أُتبع كل مبحث بتوضيح الآثار التربوية له على كل من الفرد والمجتمع.

وقدم الفصل الثالث بعض القيم التربوية المستنبطة من حجة الوداع، وذلك في خمسة مباحث، جاء في المبحث الأول قيمة الوسطية، بينما تناول المبحث الثاني قيمة الزهد، وتناول المبحث الثالث قيمة التواضع، وتناول المبحث الرابع قيمة الرحمة، وأخيراً تحدث المبحث الخامس عن قيمة الإحسان، وقد أُتبع كل مبحث بتوضيح الآثار التربوية له على كل من الفرد والمجتمع. وقد تلا كل مبحث بيان بأهم الآثار التربوية لتلك القيم على كل من الفرد والمجتمع.

ثم تناول الفصل الرابع بعض الأساليب التربوية المستنبطة من حجة الوداع، وذلك في خمسة مباحث، اختص المبحث الأول منها بأسلوب القدوة الحسنة، بينما تناول

المبحث الثاني أسلوب التعليم، وتناول المبحث الثالث أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعرض المبحث الرابع لأسلوب الموعظة الحسنة، وأخيراً تناول المبحث الخامس أسلوب الدعاء، ثم أعقب كل مبحث سرد لأهم الآثار التربوية لتلك الأساليب على كل من الفرد والمجتمع.

وبعد تحقيق أهداف الدراسة، يقدم الفصل الحالي مباحث ثلاثة عن التطبيقات التربوية للمضامين المستنبطة من حجة الوداع، ونتائج الدراسة، وتوصيات الدراسة ومقترحاتها. وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: التطبيقات التربوية للمضامين المستنبطة من حجة الوداع:

فيما يلي عرض لأهم التطبيقات التربوية المترجِمة للمبادئ والقيم والأساليب التربوية التي دلت عليها الأحداث والمواقف والاستشهادات الخاصة بحجة الوداع:

١- اتخذ رسول الله ﷺ رجلاً ينادي في الناس يعبر[يبلغ ويردد] عنه" (أبو داود، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ١٩٤٩، ص١٩٦)، وفي منى جعل ﷺ علياً – رضي الله عنه "يَعْبُرُ عنه، ويردد كلامه، والناس بين قائم وقاعد" (أبو داود، ١٤١٩هـ، ج٢، رقم الحديث ، ١٩٥٦، ص ١٩٨). ومن هذا يمكن التنسيق بين الجهات الرسمية المشرفة على الحج في كل من المملكة العربية السعودية وجميع دول العالم لإعداد حقائب تعليمية (مرئية – مسموعة – مقروءة) تعبر عن جميع أنواع المناسك، وكيفية أدائها في أماكنها الحقيقية، وذلك من خلال الاستعانة بالمراكز التعليمية والتدريبية التي تمثل مختلف جنسيات ولغات دول العالم الإسلامي، على أن يشترط توزيع تلك الحقائب من قبل مختلف

السفارات أو الملحقيات على الحجاج والمعتمرين عند الحصول على تأشيرة الحج، حتى ولو كان ذلك بثمن زهيد.

٢- عمل شاشات رقمية كبيرة في مختلف مواقف الحج (كعرفة، ومزدلفة، والجمرات، ومنى، وعند الطواف، وعند الصفا والمروة، ...) لتعريف الحجاج بأهم الإرشادات، والأدعية، والآداب الإسلامية التي ينبغي الالتزام بها، والمحظورات التي يجب الابتعاد عنها، ...، وليكن ذلك على مدار أيام الحج وبلغات مختلفة.

٣- قال قدامة بن عبد الله: "رأيت رسول الله ﷺ يرمي جمرة العقبة يوم النحر على ناقة له صهباء" (النسائي، ١٤٠٦هـ، ج٥، رقم الحديث ٣٠٦١ ، ص٢٧٠). ومن ثم، يمكن توفير وسائل النقل العامة من حافلات وقطارات، والمحدد لها سلفاً طرقاً محددة في أيام الحج – دون السماح لأي وسائل النقل الخاصة باستخدام هذه الطرق على الإطلاق أيام الحج – لخدمة الحجاج طوال أيام الحج، مع تزويد هذه الوسائل بشاشات تليفزيونية تُعرِّف بالمناسك اليومية للحج.

٤- تجهيز مختلف مواقف أو أماكن الحج بالإمكانات المادية والبشرية التي تسهم في تيسير الحج، كعمل أو اتخاذ مظلات في عرفة، كما أمر رسول الله ﷺ "بقبة من شعر تضرب له بنمرة" (مسلم، ١٤١٥هـ، ج٢، رقم الحديث ١٢١٨، ص٨٨٩).

٥- إنشاء قناة فضائية دينية للتوعية المعرفية والوجدانية والسلوكية بكل أحكام الحج والعمرة – خاصة في أشهر الحج - على أن تُبث وتتكرر برامجها على مدار اليوم بما يتلاءم والتوقيتات واللغات العالمية المختلفة، مع تخصيص دعاة ومترجمين ببرامج معينة ومباشرة لاستقبال الأسئلة والاستفسارات والرد عليها.

٦- انتشار الدعاة – في موسم الحج – في كل مكان ووقت لتعليم الحجاج مناسكهم، ولتذكيرهم بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة، وللرد على استفساراتهم، وللخطبة فيهم كلما دعت الحاجة، وللأمر فيهم بالمعروف والنهي عن المنكر إذا رأوه، وكذلك للاقتداء بهم من ناحية أخرى، وذلك كما خطب الرسول ﷺ في حجته ثلاث خطب، الأولى يوم التروية بعد الظهر بمكة، والثانية بعرفة يوم زالت الشمس. والثالثة يوم النحر بمنى. بعد الظهر على راحلته.

٧- الاستفادة من موسم ومنبر الحج – باعتباره مركزاً عالمياً للتوحيد – في تناول قضايا الأمة ومشكلاتها، واستعادة قوتها وربطها بخالقها عز وجل، وبمقدساتها، وتربية لها على التجرد لله وعلى الوسطية والتوازن واليسر في كل أمور الحياة، وكان هذا دأب الرسول ﷺ، ففي حجة الوداع ما "سُئل النبي ﷺ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج" (البخاري،١٤٠٧، ج١، رقم الحديث ٨٣، ص٤٣)، ومن ذلك أيضاً ما يسره الرسول ﷺ بأمور الإنابة في الحج، فقد أتى النبي ﷺ رجلاً فقال: إن أبي مات ولم يحج، أفأحج عنه؟ قال: أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيه، قال: نعم قال: حج عن أبيك" (ابن حبان،١٤١٤هـ، ج٩، رقم الحديث ٣٩٩٢، ص٣٠٥).

٨- لفت أنظار العالم كله – وخاصة العالم غير الإسلامي – من خلال البرامج الفضائية والصحف العالمية والمواقع الإلكترونية والمنشورات المترجمة إلى قيمة الإسلام – من خلال الحج - في وضع أفضل ميثاق للإنسان؛ ميثاق يضمن حريته وكرامته، ويبين حقوقه، ويحدد واجباته، ويعتني بشتى جوانب تربيته من حيث: التربية الصحية وذلك بالتأكيد على شرط الاستطاعة والقدرة البدنية ومراعاة ذوي الأعذار، والتربية الاجتماعية التي

تتجلى من خلال تحقيق الانتماء والتآخي ووحدة الهدف واحترام قيمة الوقت، والتربية الجهادية التي تبرز عن طريق جهاد المرأة والضعفة من جانب، ووحدة المسلمين وقوتهم ونظامهم الذي يزرع الرهبة في قلوب أعداء الإسلام والحاقدين عليه من جانب آخر، إلى غير ذلك من جوانب التربية الروحية (التقوى) والمادية (إباحة التجارة) والعقلية (بالتفكر في اختلاف خلق الله في الألسنة والألوان، وفي مشاهد الحج العظيمة، وفي تبادل العلوم والمعارف والمعلومات والأحكام بين المسلمين الذين أتوا من كل فج عميق).**ثانياً: نتائج الدراسة:**

يمكن إجمال أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج فيما يلي:

١- أن في الالتزام بسيرة النبي ﷺ وفي الاقتداء بسنته الاستقرار والاطمئنان والفلاح في الدنيا والآخرة.

٢- اشتملت حجة الوداع على العديد من المبادئ والقيم والأساليب التربوية التي لا غنى عنها لكل مسلم، فهي تهتم بجميع مظاهر الإسلام العقدية والتعبدية والأخلاقية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

٣- ربَّى الرسول ﷺ أصحابه ﷺ في حجة الوداع على تحقيق التوحيد لله وحده، وتعظيم شعائره، مع إظهار البراءة من المشركين ومخالفتهم.

٤- أكد الرسول ﷺ في حجة الوداع على ضرورة توحيد الأمة وائتلافها من جانب، واعتصامها بكتاب الله عز وجل وسنته ﷺ من جانب آخر، إذ إنهما المصدر ان الأساسيان للاتباع والتلقي، كما حذر الأمة من خطر الفتن والافتراق.

٥- أوضحت حجة الوداع ضرورة أخذ المسلمين مناسك حجهم – كما هو الحال في كافة العبادات – كما رأوا رسول الله ﷺ يؤديها، ولعل هذا يُوجب أيضاً التأسي به ﷺ في القيم والسلوكيات التي تجسدت فيه ﷺ من وسطية وزهد ورحمة وتواضع وإحسان ...، فتتوافق التربية الروحية والمادية، ومن ثم تتحقق في الأمة الخيرية والقوة والنصر والتمكين.

٦- أكدت حجة الوداع على كرامة الإنسان وحريته، وأنها حق مكفول لكل إنسان بغض النظر عن نسبه وحسبه وجاهه وطبقته وعرقه ولونه وماله.

٧- لم تقتصر حجة الوداع على التوجيهات الخاصة بأمور الحج فحسب، بل تضمنت أيضاً كافة أمور الحياة، وكان من الضروري جمعها في هذا الموقف العظيم ليكون التعلم أوسع، والشاهدون أكثر ليبلغوا عنه الغائبين.

٨- تطبيق المضامين التربوية المستنبطة من حجة الوداع في الواقع المعاصر، بصفة عامة، وفي موسم الحج، بصفة خاصة، من قِبل الهيئات المسئولة عنه، يعود على الأمة الإسلامية بكل خير ونفع في شتى مناحي الحياة.

٩- أكدت حجة الوداع على قواعد عظيمة في فقه الأولويات، فكما أن لكل إنسان أهدافاً يوليها أهمية أكثر من غيرها، فكذلك الأماكن والأزمنة والأزواج؛ فلكل حقوق وواجبات، ولكل هيبته وقدره عند الخالق والمخلوقين.

ثالثاً: توصيات الدراسة ومقترحاتها:

بعد هذا العرض، تخلص الدراسة للتوصيات والمقترحات التالية:

١-ضرورة تضافر الجهود وكافة المؤسسات التربوية في المجتمع لتربية النشئ على الاقتداء بسنة الرسول ﷺ في كافة مجالات الحياة.

٢-عقد مؤتمرات تستهدف الكشف عن المبادئ والقيم والأساليب التربوية المستنبطة من سيرة الرسول ﷺ.

٣-إنشاء مراكز بحثية تعمل على دراسة سيرة الرسول ﷺ وتخصيص دراسات تربوية تعمل على تطبيقها في الواقع المعاصر.

٤-الاستفادة من المضامين التربوية المستنبطة من حجة الوداع في معالجة الأخطاء والمخالفات التي تقع من بعض الحجيج والمعتمرين.

٥-وانطلاقاً من قصور أي عمل إنساني في تناول جميع جزئيات أي موضوع، فإن الباحث يوصي بإجراء دراسات أخرى عن:

- العلاقات الأسرية والاجتماعية في حجة الوداع.
- المعاملات الاقتصادية وتنظيمها وأثرها على الفرد والمجتمع في ضوء حجة الوداع.
- الضرورات الخمس في حجة الوداع، وإمكانية تفعيلها في الواقع المعاصر.
- حقوق المرأة بين حجة الوداع والمواثيق الوضعية: دراسة تحليلية مقارنة.
- المضامين التربوية المستنبطة من وصايا الرسول ﷺ في حجة الوداع.
- الأساليب البلاغية ولالاتها التربوية لجوامع كلامه ﷺ في حجة الوداع.
- مدى تطبيق المؤسسات التربوية للمضامين المستنبطة من حجة الوداع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- ابن أبي العز، محمد (١٤٢٦هـ). **شرح العقيدة الطحاوية**. الرياض:دار السلام.

٢- ابن الأثير، المبارك (١٤٠٣هـ). **جامع الأصول في أحاديث الرسول** ﷺ. بيروت: دار الفكر.

٣- ابن القيم، محمد (١٣٩٣هـ). **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. بيروت: دار الكتاب العربي.

٤- ـــــــــــ (١٤٠٧هـ). **زاد المعاد في هدي خير العباد**. الكويت: دار المعرفة.

٥- ابن القيم، محمد (١٤١٥هـ). **حاشية ابن القيم على سنن أبي داود**. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.

٦- ـــــــــــ (١٤١٦هـ). **بدائع الفوائد**. مكة المكرمة: مكتبة الباز.

٧- ـــــــــــ (١٤١٧هـ). **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨- ـــــــــــ (١٤١٨هـ). **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**. ط٣. الرياض: دار العاصمة.

٩- ـــــــــــ (د.ت). **التبيان في أقسام القرآن**. بيروت: دار المعرفة.

١٠- ابن المبارك، عبد الله (د.ت). **الزهد**. بيروت: دار الكتب العلمية

١١- ابن بطال، علي (١٤٢٣هـ). **شرح صحيح البخاري**. ط٢. الرياض: مكتبة الرشد.

١٢- ابن تيمية، أحمد (١٤٠٣هـ). **الاستقامة**. المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود.

١٣- ـــــــــــ (١٤١٦هـ). **مجموع فتاوى ابن تيمية**. المدينة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١٤- ـــــــــــ (١٤٢٦هـ). **العبودية**. ط٧. بيروت: المكتب الإسلامي.

١٥- ابن حبان، محمد (١٤١٤هـ). **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٦- ابن حجر، أحمد(١٣٧٩هـ). **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار المعرفة.

١٧- ابن حزم، علي (١٤٠٥هـ). **الفصل في الملل والنحل**. بيروت: دار الجيل.

١٨- ـــــــــــ (١٤١٨هـ). **حجة الوداع**. الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع.

١٩- ابن حنبل، أحمد (١٤٢١هـ). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٠- ابن خزيمة، محمد (١٣٩٠هـ). **صحيح ابن خزيمة**. بيروت: المكتب الإسلامي.

٢١- ابن درهم، أحمد(١٤٠٨هـ). **الزهد وصفة الزاهدين**. طنطا: دار الصحابة للتراث.

٢٢- ابن رجب، عبد الرحمن (١٤١٧هـ). **شرح حديث لبيك اللهم لبيك**. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.

٢٣- ابن عاشر، عبد الواحد(د.ت). **المرشد المعين على الضروري من علوم الدين**. بيروت: دار الفكر.

٢٤- ابن عاشور، محمد (١٩٨٤م). **التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية.

٢٥- ابن فارس، أحمد (١٤٢٠هـ). **معجم مقاييس اللغة**. بيروت: دار الجيل.

٢٦- ابن كثير، إسماعيل (١٤٠٥هـ). **البداية والنهاية**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٧- ـــــــــــ (١٤١٤هـ). **تفسير القرآن العظيم**. بيروت:دار الفكر.

٢٨- ـــــــــــ (١٤١٦هـ). **حجة الوداع**. الرياض: دار الوطن.

٢٩- ـــــــــــ (د.ت). **السيرة النبوية**. الرياض: دار المعرفة.

٣٠- ابن ماجة، محمد (١٤٢٠هـ). **سنن ابن ماجة**. بيروت: دار المعرفة.

٣١- ابن مفلح، عبد الله (١٤١٩هـ). **الآداب الشرعية**. ط٣. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٢- ابن منظور، محمد (١٤١٤هـ). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.

٣٣- ابن هشام، عبد الملك (١٤٢٧هـ). **السيرة النبوية**. بيروت: دار الكتاب العربي.

٣٤- أبو داود، سليمان (١٤١٩هـ).**سنن أبي داود**. بيروت: المكتبة العصرية.

٣٥- أبو يعلى، أحمد (١٤٠٤هـ). **مسند أبي يعلى**. دمشق: دار المأمون للتراث.

٣٦- الأزهري، محمد (١٣٩٩هـ). **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**. الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

٣٧- الألباني، محمد (١٤٠٥هـ). **حجة النبي ﷺ كما رواها جابر رضي الله عنه**. ط٧. بيروت: المكتب الإسلامي.

٣٨- بانبيلة، حسين(١٤٠٨هـ). **بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى ﷺ**. جامعة أم القرى: كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة.

٣٩- البخاري، محمد (١٤٠٩هـ). **الأدب المفرد**. ط٣. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

٤٠- ـــــــــــ (١٤٢٢هـ). **صحيح البخاري**. بيروت: دار طوق النجاة.

٤١- البدر، عبد الرزاق (١٤١٩هـ). **فقه الأدعية والأذكار**. الرياض: دار ابن عفان.

٤٢- البدر، عبد المحسن (د.ت). **الحج: فضله وفوائده**. الرياض: دار ابن عفان.

٤٣- البعداني، فيصل (١٤٢٣هـ). **أحوال النبي ﷺ في الحج**. ط٢. الرياض: مطابع أضواء المنتدى.

٤٤- البغوي، أبو محمد الحسين (١٤١٧هـ). **معالم التنزيل**. مكة المكرمة:دار طيبة للنشر والتوزيع.

٤٥- بني عامر، محمد (د.ت). **من أساليب الدعوة والإرشاد**. بيروت: دار الدعوة.

٤٦- البيهقي، أحمد (١٤١٠هـ). **السنن الصغير للبيهقي**. كراتشي: جامعة الدراسات الإسلامية.

٤٧- البيهقي، أحمد (١٤١١هـ). **شعب الإيمان**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٨- البيهقي، أحمد (١٤٢٤هـ). **السنن الكبرى**. ط٣. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٩- الترمذي، محمد(١٣٩٥هـ). **سنن الترمذي**. ط٢. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٥٠- التميمي، محمد(١٤١٨هـ). **حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة**. الرياض: أضواء السلف.

٥١- الجرجاني، علي (١٤٠٣هـ). **التعريفات**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٥٢- الجزائري، جابر (١٤٢٤هـ). **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. ط٥. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

٥٣- الجوهري، إسماعيل (١٤٠٧هـ). **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. بيروت: دار العلم للملايين.

٥٤- الحازمي، خالد (١٤٢٥هـ). **أصول التربية الإسلامية**. المدينة المنورة: دار الزمان.

٥٥- الحاكم، محمد (١٤١١هـ). **المستدرك على الصحيحين**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٥٦- الحمد، محمد (١٤١٨هـ). **الدعاء مفهومه- أحكامه – أخطاء تقع فيه**. ط٢.الرياض: دار ابن خزيمة.

٥٧- الخاطر، حصة (١٤٢٥هـ). **فقه الدعوة في حجة الوداع**. رسالة ماجستير غير منشورة.جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب.

٥٨- الخطابي، حمد (١٤١٢هـ). **الدعاء**. الرياض: دار الثقافةالعربية.

٥٩- الخطيب البغدادي، أحمد(١٤٢١هـ). **الفقيه و المتفقه**. الرياض:دار ابن الجوزي.

٦٠- الدايل، فهد (١٤٣٠هـ). **خطبة حجة الوداع دراسة مقارنة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان**. رسالة ماجستير غير منشورة .جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: المعهد العالي للقضاء، قسم السياسة الشرعية.

٦١- درويش، محيي الدين (١٤١٥هـ). **إعراب القرآن وبيانه**. بيروت: دار ابن كثير.

٦٢- الرازي، أحمد (١٣٩٩هـ). **معجم مقاييس اللغة**. بيروت: دار الفكر.

٦٣- ـــــــــــ (١٤٠١هـ). **مفاتيح الغيب**. بيروت: دار الفكر.

٦٤- الرحيلي، إبرهيم (١٤١٩هـ). **الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال**. ط٢. المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية.

٦٥- الروسي، محمد (١٤٢٨هـ). **مظاهر تعظيم شعائر الله تعالى من خلال حجة الوداع**. بحث مقدم لـ " ندوة الحج الكبرى حجة الوداع شعائر وقيم" والمنعقدة بمكة المكرمة في ٢-٥/ ١٢/ ١٤٢٨هـ، (ص ص ٦٣-١١٣)

٦٦- الزبيدي، محمد (د.ت). **تاج العروس**. بيروت: دار صادر.

٦٧- السعدي، عبد الرحمن (١٤٢٠هـ). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٦٨- السلمان، عبد العزيز (١٤١٥ هـ). **موارد الظمآن لدروس الزمان**. ط٢٥. الرياض: مطابع الخالد.

٦٩- السيوطي، عبد الرحمن(١٤٠٦هـ). **شرح السيوطي لسنن النسائي**. ط٢. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

٧٠- الشاطبي، إبراهيم (١٤٢٩هـ). **الاعْتِصَام**. الرياض: دار ابن الجوزي.

٧١- الشحود، علي (١٤٣٠هـ). **الأساليب النبوية في التعليم**. بهانج: دار المعمور.

٧٢- الشنقيطي، محمد (١٤١٥ هـ). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. بيروت: دار الفكر.

٧٣- الشوكاني، محمد (١٤١٣هـ). **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**. القاهرة: دار الحديث للطباعة والنشر.

٧٤- شومان، طه(١٤٢٦هـ) **القيم في القصص النبوي**. رسالة دكتوراة غير منشورة ،

جامعة المنوفية :كلية التربية بشبين الكوم.

٧٥- الشيخ، ناصر (١٤٢١هـ). **عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم**. ط٣. الرياض: مكتبة الرشد.

٧٦- الصنعاني، محمد (١٤٣٠هـ). **منسك في هدي المصطفى** ﷺ. دمشق: دار المأمون للتراث.

٧٧- ضياء الدين، أحمد (٢٠٠٥م). **التربية الوقائية في الإسلام**. الأردن: دار الفرقان.

٧٨- الطبراني، سليمان (١٤٠٤هـ). **المعجم الكبير**. الموصل: مكتبة الزهراء.

٧٩- ـــــــــــــ (١٤١٥هـ). **المعجم الأوسط**. القاهرة: دار الحرمين.

٨٠- الطبري، أحمد (د.ت). **حجة المصطفى** ﷺ. نشر مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة، بيروت: دار الكتب العلمية.

٨١- الطبري، محمد (١٤٠٧هـ). **تاريخ الأمم والملوك**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨٢- طعيمة، رشدي (٢٠٠١م). **مناهج تدريس اللغة العربية بالتعليم الأساسي**. القاهرة، دار الفكر العربي.

٨٣- عبد القادر، موفق (١٤٢٨هـ). **منهج البحث العلمي وكتابة الرسائل العلمية**. مكة المكرمة: دار التوحيد.

٨٤- عبيدات، ذوقان (١٤٢٤هـ). **البحث العلمي**. جدة: دار الإشراقات.

٨٥- العثيمين، محمد (١٤١٩هـ). **شرح العقيدة الواسطية**. ط٥.الرياض: دار ابن الجوزي.

٨٦- ـــــــــــــ (١٤٢٤هـ). **شرح ثلاثة الأصول**. الرياض: دار الثريا.

٨٧- عطية، عماد (١٤٢٧هـ). **التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها**. ط٢. الرياض: مكتبة الرشد.

٨٨- العظيم آبادي، محمد(١٤١٥هـ). **عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن**

القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨٩- العمري، سعيد(١٤٢٣هـ) **التوجيهات المتضمنة في سورة المجادلة**. جامعة أم القرى، رسالة ماجستير غير منشورة:قسم التربية الإسلامية والمقارنة.

٩٠- الغزالي، محمد (١٤١٩هـ). **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار االمعرفة.

٩١- فاروق، حمادة (١٤٢٢هـ). **الوصية النبوية**. دمشق: دار العلم.

٩٢- الفوزان، صالح (١٤٢٦هـ). **إتحاف الطلاب بشرح منظومة الآداب**. الرياض، مكتبة الرشد.

٩٣- الفوزان، عبد الله (١٤٢٨هـ). **منحة العلام في شرح بلوغ المرام**. الرياض: دار ابن الجوزي.

٩٤- القرطبي، علي (١٤٢٣هـ). **شرح صحيح البخاري**. ط٢.الرياض: مكتبة الرشد.

٩٥- القرطبي، محمد (١٣٨٤هـ). **الجامع لأحكام القرآن**. ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية.

٩٦- القزاز، محمد (١٤٢٨هـ). **الاتجاه السلفي في التربية الإسلامية عند شيخ الإسلام ابن تيمية**. بيروت : دار مجد الإسلام.

٩٧- القسطلاني، أحمد (١٤٢٣هـ). **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية. ط٧.

٩٨- ـــــــــــــــ(١٤١٧هـ). **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٩٩- المباركفوري، محمد (د.ت). **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**. المدينة المنورة: المكتبة السلفية.

١٠٠- المتقي، علي (١٤٠٥). **كنز العمال**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٠١- محمد، محمد عماد (١٤١١هـ). **خطبة الجمعة في العالم الإسلامي**. بحث مقدم لمقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، عدد (٢٨). شعبان ١٤١١هـ " كتاب الأمة" قطر، (ص ص ٥٠- ٧٢).

١٠٢- المرسي، علي(١٤٢١هـ). **المحكم والمحيط الأعظم**. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٠٣- مسلم، مسلم النيسابوري (١٤١٩هـ). **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٠٤- المعافري، عبد الملك (١٤١١هـ). **السيرة النبوية لابن هشام**. بيروت: دار الجيل.

١٠٥- المقري، أحمد (١٤٠٨). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. بيروت: دار صادر.

١٠٦- المناوي، عبد الرؤوف (١٤١٠هـ). **التوقيف على مهمات التعاريف**. القاهرة: عالم الكتب.

١٠٧- النجار، أحمد (د.ت). **القول المبين في سيرة سيد المرسلين**. بيروت: دار الندوة الجديدة.

١٠٨- النجار، محمد (د.ت). **المعجم الوسيط**. بيروت: دار الدعوة.

١٠٩- النسائي، أحمد (١٤٠٦هـ). **المجتبى من السنن**. ط٢. حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية.

١١٠- النووي، يحيى (١٣٩٢هـ). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١١١- ولد كريم، محمد (١٤٢٤هـ). **المزاح في السنة**. بحث مقدم لرئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، مجلة البحوث الإسلامية"، عدد (٦٨). الرياض، (ص ص ٣٤٣- ٣٨٤).

١١٢- يالجن، مقداد (١٤٠٦هـ) **التربية الإسلامية الأساسية**. بيروت: دار الريحاني.